



www.helmelarab.net

لقد أجمع الكل على أنه من المستحيل أن يجيد رجل واحد في سن (أدهم صيرى) كل هذه المهارات ولكن (أدهم صيرى) حقق هذا المستحيل ، واستحق عن جدارة ذلك اللقب الذى أطلقته عليه إدارة اغتيابرات العامة لقب (رجل المستحيل) .

د. نبيل فاروق

١ - رنين الفزع ..

تقلبت (سونيا جراهام) في فراشها الوثير ، في حجرة منزلها الفاخر ، المطل على (الشانزليزيه) ، أشهر أحياء (باريس) ، مدينة النور والفن والجمال ، حيث تقيم منذ أكثر من ثلاثة أشهر ، تحت اسم (برجيت فرانسوا) ، بعد أن لفظها (الموساد) من صفوفه ، ومهممت بكلمات ناعسة ، غير مفهومة ، وارتسمت على شفيتها ابتسامة ناعمة ، وهى تحلم بتفاصيل ماحدث لها ، منذ انتقالها للعيش في العاصمة الفرنسية ..

لقد التقت في (باريس) بزميلتها السابقة (جوزفين مونية) ، التى كانت تعمل مديرة للعلاقات العامة ، في شركة دعاية كبرى ، تملكها المليونيرة المغامرة الخشاء (كلوديا موريس) ، وترتبط بعلاقة قوية بـ (مارسيل بيكر) ، ملك العصابات في (فرنسا) ، ولقد أعاد هذا اللقاء لكل منهما أوجاع الطرد من (الموساد) ، والحد عقلاهما ، واتفقا على لحظة شيطانية ، يمكنهما بواسطتها إقناع (الموساد) بإعادتهما إلى صفوفه ..

وعن طريق (جوزفين) ، التفت (سونيا) به (كلوديا موريس) ، وأضحت في أعماقها روح المغامرة ، والإثارة ، ولعبت (جوزفين) بذورها على عقل وقلب (مارسيل بيكر) ، ثم لم تلبث الخطة الشيطانية المحكمة أن أسفرت عن مولد منظمة خاصة للجاسوسية العالمية ، تحت اسم (ملائكة السلام) ، يتزعمها الأربعة ، وبدأت المنظمة عملها بعملية قوية ، نجحت (جوزفين) خلالها في الحصول على تصميمات حربية سرية سوفيتية ، ثم نشرت تفاصيلها في الصفحة الأولى في جريدة (لوموند) ، أشهر الصحف الفرنسية ، وكان هذا بمثابة إعلان لمولد المنظمة الجديدة .

ثم ظهر (أدهم صبرى) على شاشة الأحداث ..
وبدأ الصراع ..

بدأ والمنظمة تعدّ عُدتها للقيام بعمليتها الثانية في (مصر) ..
وكان ظهور (أدهم صبرى) و (منى توفيق) إيدئاً يفتح أبواب الجحيم ، ولكن رباعى (ملائكة الجحيم) نجح في أسر (أدهم) و (منى) ، وألقاهما (مارسيل) فريسة لأشدّ إغريقى ضخيم ، يطلق عليه اسم (نابليون) و..... (*)

(*) راجع الجزء الأول (ملائكة الجحيم) .. المغامرة رقم (٦١) .

تبخرت أحلامها فجأة ، وانفض جسدها في النزاع ، حينما ارتفع رنين الهاتف المماور لقراشها ، فأسؤت في امتعاض واعتراض ، والتقطت سماعة الهاتف ، وهى تقول في تكاسل ، وبصوت لم يفارقه العاس بعد :

— من المتحدث ؟

جاءها صوت تعرفه جيداً .

صوت (مارسيل بيكر) ، ملك العصابات ، وهو يقول في حزم واقتصاب :

— لقد لقيت (جوزفين) مصرعها .

تبخر العاس فجأة من عينيها ، وسرت في جسدها رعدة مفرغة ، وهى تمبّ جالسة ، وتصرخ في مزج من الدهول والدعبر :

— ماذا ؟! .. حتى حدث هذا ؟! .. وكيف ؟! .. لقد تركتها منذ ساعات قليلة في مطار (أولى) ، وكانت في تمام الصحة و.....

قاطعها (مارسيل) بنفس الصوت الحازم ، واللهجة المتقطعة :

— لقد قتلها (أدهم صبرى) .

تجددت الدماء في عروقها ، وحفظت عيناها حتى كادت
تقفزان من محجريهما ، ولجئ إليها أنها لم تستيقظ من حلمها
بعد ، أو أنه قد تحول بقة إلى كابوس ثقيل بعض ، بقيت
تسبح ، يظل على صدرها ، ويكاد يزهق روحها ، وأجبت
الكلمات في حلقها ، حتى أنها عجزت عن التفوه بحرف
واحد ، مما دفع (مارسيل) إلى أن ينف لى قلق :

— (برجيت) .. هل تسمعين ؟ !

أرادت أن تجبه ، ولكن لسانها بدا كقطعة من الجليد في
حلقها ، وأخذ عقلها يصرخ في أعماقها .

أى نوع من الرجال (أدهم صيرى) هذا ؟ ..

بل أى نوع من الشياطين ؟ ..

كيف يمكن لرجل أغزل ، مقيد اليدين أن يزم أسدا
إفريقيًا شرسًا ؟ ..

إنه كابوس ..

إنها لم تستيقظ بعد .

سبلاشى كل شيء عندما تستيقظ .

ولكن (مارسيل) عاد ينف ، وقد تصاعف قلقه ،
واخلط بتوكره :

— برجيت .. هل حدث شيء ما ؟ .. أما زلت تسمعينى

يا (برجيت) .

كان هناك بكفى لأن ثوقن بأنها لا غيا كابوسًا بشعًا ، وأنه
عليها أن تحب ، فاستجمعت كل ما تبقى في أنفاسها من روح ،
لتقول في صوت منحرج ، مخفق :

— ومتى حدث هذا ؟

أجابها وقد عاد إليه اطمئنانه :

— يبدو أنه قد حدث بعد عودتها من المطار مباشرة . فقد

عثرت على جثتها في الساعة ، وأخبرنى (شيفاليه) أن (أدهم

صيرى) هو الذى قتلها ، فأطلقت كل رجالى خلفه ، وورعت

عليهم نشرة بأوصافه .. إنه لن يفادر (باريس) حيًا يا (برجيت) .

هتفت (سونيا) ، وقد امتلأت عروقها بغضب لا حصر له :

— هذا لا يكفى يا (مارسيل) .. إن هذا الرجل

شيطان .. إنه يجيد التكر حتى يتمكن أن يتحل شخصيتك ،

دون أن تشك أنك نفسها في ذلك .. إننى أحمل صورة له ،

أرسل من يأخذها ، واطيع منها مئات النسخ ، ليحمل كل

رجل من رجالك صورته .

أجابها بلهجة الخازمة المقتضية :

— سأفعل .

ثم أتت المكاملة دون أن يضيف حرفاً واحداً ، وبقيت هي
لحظة تصيح السخاعة على أذنها ، ذاهلة مشدوعة ، قبل أن
تعيدها في بطنها إلى موضعها ، وتلقط واحدة من سجانرها ،
لندمها بين شفتيها ، وتشعلها بقذا احتيا في شروذ ، ولكنها لم
تكذب تنفث دُخانها حتى عاودها غضبها وسخطها ، فتهتفت
تتحرك في أرجاء حجرتها في عصبية ، وهي تعلم في خلق :
— أما من نهاية لـ (أدهم صبرى) هذا ؟ . أما من وسيلة
للتخلص منه والقضاء عليه ؟ .

من أي معبدٍ صنع هذا الرجل ؟

وتوقفت فجأة حيناً ففكر إلى ذهنها خاطر خفيف ، ووجدت
نفسها تهتف في قلق :

— يا للشيطان !! .. لقد أصبح (أدهم صبرى) ظليفاً ،
ويمكنه أن يبلغ دولته بما توصل إليه من أمر منظمتنا .. إنه
يسفد عمليتنا في (مصر) ، وسيوقع بـ (كلوديا) ..
وعادت تتحرك في مزيد من العصبية والتوتر ، وهي تردف :
— ولكن هل يعلم أن عمليتنا الحالية في وطنه بالذات ؟ .
هل أخبرته (جوزفين) بشيء ما ، قبل أن تلقى مصرعها ؟

انتابها الهواجس ، فبدأ صومها يرتخف على شفتيها . وهي
تستطرد :

— لقد أصبح من المستحيل أن تلقى عملية (مصر) ،
الآن .. لقد دارت العجلة ، ولا يمكن إيقافها أبداً .. لا بد من
الغثور على (أدهم صبرى) ، حتى تصبح العملية مأمونة
ونفث دُخان سيجارها ، قبل أن تهتف في سخط وكراهية
— ولكن أين هو الآن ؟ . أين (أدهم صبرى) ؟
ولم تكن تدري أنه في هذه اللحظة بالذات ، كان (أدهم
صبرى) يرقد في أعماق نهر (النيل) .



٢ - صراع في الأعماق ..

لم يكد ذلك التابوت الخشبي يرتطم بسطح نهر (السّين) ،
ويغوص بعمله في مياهه الباردة ، حتى استعاد ذهن (أدهم
صبرى) ، في لحظة واحدة ، كل ما مرّ به من أحداث ، منذ
وصوله إلى (باريس) لطاردة (ملائكة الجميع) ، وانضمامه
مع (منى) منزل (سونيا جراهام) الفاجر ، ووقوعهما في
الفخ المتقن ، الذي أعدّه هما (مارسيل بيكر) ..

تذكر كيف تركهما (مارسيل) مقبدين ، هريسة لأسده
الأفريقي الجائع ، الذي يطلق عليه اسم (نابليون) .. وكيف
نجح هو في قتل الأسد ، بعد صراع مخيف .. وكيف ظفر مع
(منى) بالفرار من وكر (مارسيل) .. وكيف استطاعا
مفاجأة (جوزفين) في منزلها منذ ساعات ، حيث اشتبكا معها
ومع حارسها الخاص (شيباليه) في قتال ، حسمه ذلك
الظهور المفاجئ لـ (سرجى كوربوف) ، رجل التخابرات
السوفيتية الشرير ، الذي يطلقون عليه اسم (الكوبرا) ، والذي

نجح - بواسطة رجاله - في السيطرة على الموقف ، وإلقاء
القبح عليه وعلى (منى) ..

ومنذ لحظات احتفظ (سرجى) بـ (منى) ، في محاولة
لإجبارها على الإدلاء بكل ما لديها ، باستخدامه وسائله الخفية
القاسية ، ووضع رجاله (أدهم) ، مقيد اليدين والقدمين ،
في ذلك التابوت الخشبي ، الذي أضافوا إليه ثقلين فولاذيين .
أحدهما عند رأسه ، والآخر عند قدميه ، وثبتوا غطاءه بمسامير
قويّة ، ثم ألغوه في نهر (السّين) (*) ..

استعاد عقل (أدهم) كل هذه التفاصيل في لحظة
واحدة ، والتابوت يغمس به في مياه (السّين) الباردة ، التي
بدأت تتسلّل إلى داخل التابوت ، حتى استقرّ في قعر النهر ..
وبدأ عقل (أدهم) يعمل في سرعة حارقة كعادته ..
كانت السرعة ، التي تتسلّل بها المياه إلى التابوت ، تؤكد
أنه لن يمتلئ بها قبل عشر دقائق على الأقل ، ولكن كمية الهواء
داخله لن تكفى (أدهم) لأكثر من خمس دقائق ، لذا فعليه أن
يعمل بأقصى سرعة ، ويُدخّر أنفاسه في الوقت ذاته ..

(*) لمزيد من التفاصيل ، راجع قصة (ملائكة الجميع) .. الفارقة
رقم (٦١) .

وبسرعة ، ودون أن يضيع لحظة واحدة ، بدأ (أدهم)
يعمل على حل قيود معصيته .

كان من حسن حظّه أن أعداءه لا يعلمون أنه يتدرب على
التخلّص من القيود ، منذ كان في السادسة من عمره ، وأنه قد
بلغ في هذا المضمار شأنًا ، لم يبلغه قبله سوى الساحر الشهير
(هاري هوديني) ، الذي أذهل العالم بقدرته تلك ، في
النصف الأوّل من القرن العشرين . فكان كل منهم يحكم
قيود (أدهم) ، وهو لا يتصوّر أنه قادر على التخلّص منها ،
مهما بلغ إحكامها .

وبعد ثلاث دقائق بالضبط ، كان (أدهم) قد نجح في حلّ
قيود معصيته ، وكان الماء قد ارتفع حتى غطّى أذنيه ، وهو في
ذلك الوضع الراقد على ظهره .

وقد مرونة مذهشة ، لدى (أدهم) ذراعيه ، والنقط الثقل
المعدني ، المستقر تحت رأسه ، وأحاله جانبًا ، ثم دفعه لينزل
غير التابوت الخشبي ، حتى لحق بزميله الراقد عند قدميه .

وهكذا أعلّ بتوازن الثقل داخل التابوت ، وقامت
تيارات الدفع المائية بالباقي ، فارتفع النصف العلوي من
التابوت . بعد أن خفّ وزنه ، وانتقل إليه الهواء الباقي ،

فأصبح التابوت في وضع قائم ، وأصبح (أدهم) واقفاً على
قدميه ، وليس راقداً على ظهره .

وكان يفضل هذا الوضع .

وأخذ الماء يرتفع داخل التابوت ، حتى وصل إلى صدر
(أدهم) ، وهو صامت ساكن ، لا يقدم على أية خطوة ،
مكتفياً بحبس أنفاسه ، وإدخال الهواء الباقي له بأقصى قدر
ممكن ، فقد كان يعلم أن أية محاولة لدفع غطاء التابوت غير
مجدية .

لم تكن تلك المسامير القويّة ، التي ثبّت بها الغطاء ، هي
التي تجعل ذلك غير مجيد ، ولكنه فارق الضغط بين داخل
التابوت وخارجه ، والذي يجعل ضغط الماء يضيف إلى ثقل
الغطاء أطنانًا تعجز حتى عضلات (أدهم) الفولاذية عن
دفعها .

وحينما وصل الماء إلى ذنقه ، وهو يواصل ارتفاعه في
سرعة ، التقط (أدهم) كل ما بقي من الهواء ، وأودعه في
صدره ، ثم حبس أنفاسه في قوّة ، وانتظر حتى امتلأ التابوت
تمامًا بالماء .

هنا فقط تعادل ضغط الهواء بين داخل التابوت ،
وخارجه .



انفتح غطاء الثابوت ، وانزلق (أدهم) غير الفتحة إلى الخارج ..

وبكل ما يملك من قوة ، دفع (أدهم) ظهره إلى قرار الثابوت ، ودفع قدميه إلى غطاءه ، وشعر بثقل هائل على صدره ، وعنقه ، وأذنيه ، ولكن المسامير القوية لانت أمام قوته ، وبدأت تقادر تجاوزها ..

وبدخلة أخيرة ، تحمّل كل قوة ، وعناد ، وإصرار ، وصلابة (أدهم صبرى) ، انفتح غطاء الثابوت ، وانزلق (أدهم) غير الفتحة إلى الخارج ، وتجاهل حل وثاق قدميه ، وهو يجاهد للصعود إلى السطح والتقاط بعض الهواء ، الذى نلّث من أجله خلاياه ..

كان صراخا ضد الموت ، فى أعماق نهر (السين) ..

نفث أحد رجل المخابرات السوفيتية دخان السجارة الأمريكية ، التى يحملها بين شفتيه ، فى تلذذ ، والنفت إلى زميله ، الذى يجلس صامتا فى ركن الخزان القديم ، المظلل على نهر (السين) ، وقال فى نشوة :

— كم أميل إلى تلك المهام ، التى تجعلنا ننقل إلى الخارج ، يا (كلاينكوف) ، إننا لدخّن سجائر أمريكية ، وترندى ثيابنا أليفة ، ونستظرنا سيارة فاخرة .. من المستحيل أن يحصل المرء على كل هذا الثرف فى (موسكو) ..

عقد (كلاينكوف) حاجيه في صرامة ، وحذج زميله
بنظرة ناروية ، وهو يقول :

— خذ يا (نيكولاى) .. إنك تشير بقولك هذا إلى
أنك تميل للأوساط الرأسمالية المتعجرفة ، وترفض سياسة
دولتنا الرشيدة ، التى تعمل من أجل الإخاء والمساواة .

شحب وجه (نيكولاى) ، وأراد أن ينفث دخان
السيجارة الذى يملأ صدره ، ولكن تولّاه حوّل ذلك إلى نوبة
من السعال الحاد ، جعلت وجهه يحترق في شدة ، قبل أن
ترسم عليه ابتسامة باهتة مرتبكة ، وهو يقول :

— إننى لا أميل لذلك الشرف الرأسمالى بالطبع أيها
الرفيق ، ولكن التغيير ضرورى في بعض الأحيان .. أليس
كذلك ؟

عاد (كلاينكوف) يتخذ من نفس النظرة الناروية ، قبل أن
يشيح بوجهه في صمت قاس ، مما حوّل طعم السجارة بين
شفتى (نيكولاى) ، إلى مذاق أقرب إلى السمّ الزعاف ،
فصق في خنق ، وألقى سيجارته الأمريكية ، وأطفاها بقدمه
في عصىة ، ثم استدار ليعود إلى ركن الخزن ، وهو يلعن
زميله ، ويبتّه مبّاً ..

وفجأة .. تحطّم باب الخزن ، وانقضت صاعقة ..
صاعقة تحمل اسم (أدهم صبرى) ..

كانت انقضاضة (أدهم) مباغتة قويّة ، حصى أن
(نيكولاى) تسرّ في موقعه ، وترك فكّه السفلى يسقط على
خو أقرب إلى البلاهة ، وعينه تجمحطان حتى بدتا أقرب لعينى
مخدع مصاب بغر هضم شديد ، وحيل إليه أنه يرى شبحاً
عاد من أعماق النهر ، لينتقم من قاتليه ، ويذهب بهم إلى جحيم
الأشرار ..

وقبل أن ينطق (نيكولاى) بلفظ واحد ، أو حتى يصرخ
فرغاً ودهشة ، هوّت لكمة (أدهم) الفولاذية على فكّه ،
وأجبرته على ابتلاع التين من أسنانه ، قبل أن تهشم الأخرى
أنفه ، وتحوّلته إلى كومة من اللحم المفروى ..

وقفز (كلاينكوف) واقفاً ، واختطف مدفعه الرشاش ،
يصوبه نحو (أدهم) في صرامة وشراسة ، ولكن قدم
(أدهم) أطاحت بالمدفع الرشاش ببركلة قويّة ، ثم فطرت
فقطاه لتشتت بستره (كلاينكوف) الجلدية ، وتجدبان
إليه ، حيث استلقته ركبته في معدته ، ثم أفلتا ، لتهويا على فكّه
في قبضتين متلاحقتين ..

وتزلق (كلاينكوف) ، وحاول أن يقاوم الفتيان
والسقوط ، ولكن لكفة ساحقة من قبضة (أدهم) اليمنى
أصابت أنفه ، فحسنت أمره ، وتحدد أرضاً فاقد الوعي ..
ردارت عينا (أدهم) في المكان في سرعة وتوكر ، وانتابه
القلق والحنق ، حيناً لم يجد أثراً (سيجي) ، أو (منى) ،
فاستدار يتزح (نيكولاى) من الأرض ، ويجيره على الوقوف
في قوة ، وتحوّل صوته إلى بركان ينقت الصرامة والغضب ،
ويجند الدم في العروق ، وهو يسأل الرجل بالروسية :
— أين ذهب (سيجي) وأسيرته ؟

ارتجف جسد (نيكولاى) ، وهو يحاول إزاحة الدم عن
أنفه ولحمه ، ويفهم في مزيج من الألم والرعب والذهول :
— لقد ذهب .. لن يمكنك استعادة وليفتك .. لقد ذهب
صرخ به (أدهم) في صرامة مخيفة :
— أين هما ؟

كاد (نيكولاى) يركى ، وهو يقول :
— لقد اصطحبها معه .. لا أحد يمكنه إيقاف
ما سيحدث

جذبه (أدهم) إليه في قوة ، وتحيل لـ (نيكولاى) أن

عنى (أدهم) قد تحولنا إلى كهلين من الخُمم المثبته ، وأن
صوته قد صار حاداً ، كخنجر مسموم ، وهو يقول في
انقصاب :
— أين ؟

كانت القواعد التي تلقاها (نيكولاى) من مخابرات
دولته ، تحث عليه أن يصمد ويقاوم تلك المحاولة ، لانزعاج
المعلومات من بين شفتيه ، ولقد أراد أن يطبق تلك القواعد
بالفعل ، ولكنه وجد نفسه يقول في دُعر :
— إنها في سفارتنا .. سيحملها إلى (موسكو) في حقيبة

ديبلوماسية ، حتى يمكنهم استجوابها هناك .
اتسعت عينا (أدهم) جزعاً ، وهو يصف :

— إلى (موسكو) ؟
ويكل ما يحصل في نفسه من غضب وثورة ، هوى على فلك
(نيكولاى) بلكمة ، أرسلته إلى عالم من اللاوعي الكامل ..
وانطلق (أدهم صبرى) ..

انطلق (رجل المستحيل) ..

٣ - الجمعيم الأحمر ..

تطلع الملحق العسكري للسفارة السوفيتية في (باريس) ،
 في وجه (سرجي كوربوف) في بروود ، وهو يقول :
 - إنك تطلب عملاً ينطوي على مخاطرة جسيمة أيها الرفيق
 (سرجي) ... هل هناك أوامر مباشرة من (موسكو) ، لنقل
 هذه الفتاة إليها ، في حقبة ديبلوماسية ؟
 مطر (سرجي) شفيعه ، وعبأ الحجرة بدخان سيجارته
 السوفيتية ، ذات الرائحة النفاذة ، قبل أن يقول في بروود :
 - الأوامر المباشرة تقضي بإثغام مهنة كلّفها ، ومن صميم
 عملي أن أفعل ما أراه مناسباً ، ما دمت لم أتجاوز حدود مهمتي .
 عقد الملحق العسكري حاجبه ، وهو يقول في جدّة :
 - وهل لي أن أعرف طبيعة هذه المهمة ؟
 أجابه (سرجي) في انقباض ، يحمل كلّ البرود والصرامة :
 - كلاً .
 دقّ الملحق العسكري سطح مكتبه بقبضته ، وهو يقول
 في غضب :

- ليس من حقك إذن أن تطالبني بعمل بالغ الخطورة
 كهذا ، قد يؤدي إلى مشكلات ديبلوماسية لا حصر لها مع
 الحكومة الفرنسية ، دون أن أعلم مدى أهميته لدولتنا .
 نهض (سرجي) في هدوء ، وأطفأ سيجارته في وقاحة ،
 على سطح مكتب الملحق العسكري ، ثم اعتمد براحيه على
 سطح المكتب ، ومال بجسده ، ليحدّق في عيني الملحق
 العسكري مباشرة ، وهو يقول في مزيج من البرود والصرامة :
 - أولاً : هذه الفتاة من التقارير المصرية ، وليست
 فرنسية ، وشحتها من هنا ، سواء في حقبة ديبلوماسية ، أو
 داخل صندوق مزدان بالزهور الجنائزية ، لن يسفر عن أية
 مشكلات ديبلوماسية ، مع الحكومة الفرنسية .
 ثانياً : وهو الأهم ، ليس من حقك أن تسأل أحد ضباط
 الد (كي . جي . بي) عن مهمته ، مهما كانت مطالبه ،
 أو أوامره .
 وضعف حروف كلمة (أوامره) ، وكأنما يؤكد سطوته
 وقوته ، وسيطرته النائمة على الموقف ، ثم عاد يشعل سيجارة
 أخرى ، نفث دخانها في وجه الملحق العسكري ، قبل أن يعود
 ليجلس على مقعده ، قائلاً في بروود شديد :

— والآن . متى يتم إعداد الحقبة الدبلوماسية ، التي
تسع لقطة متوسطة الحجم ، تحت تأثير مخدر قوى ؟
احضن وجه الملحق العسكري ، وخامره الرغبة في أن
يصرخ في وجه (سرجي كوروبوف) ، ويبادر بطرده خارج
مكتبه ، إلا أن المرأة المواجهة له ، غيّر العفة الواسعة ،
عكست صورة العلم الأجر الضخم ، الذي يملأ الحائط
خلفه ، والذي بدا له كجحيم ، يغول بينه وبين ما يرغب في
عمله ، والذي أقنعه بأنه إنما يحتمل أسلوب (سرجي) القفد
الوقح ، من أجل صالح دولته ، التي لا يتردد في بذل حياته من
أجلها . فأجاب في صوت مختبئ ، مُحِيطين :

— بعد ساعة واحدة .

ارتست ابنة طالفة على شفطي (سرجي كوروبوف) ،
وهو يستند برأسه إلى ظهر مقعده ، ويرخي جفنيه ، قائلا في
برود :

— سأنتظر .

انطلق (أدوم) بتلك السيارة الفرنسية الأنيقة ، التي
كانت تنتظر رجل الثائرات السوفيتية ، خارج المختبر ، يشق

شوارع (باريس) ، في طريقه إلى مبنى السفارة السوفيتية .
وقد ارتست صرامة العالم كله في ملاحظه .

كانت خصلات شعره المبثلة ما زالت تلتصق بجينته ، وكان
هواء (باريس) البارد يحول ثيابه الرطبة إلى غلاف من الثلج ،
يحيط بجسده ، ولم يكن يعلم أن (مارسيل يكر) قد أطلق
خلفه كل رجل عضابات في (فرنسا) كلها ، بمهمة واحدة .
هي قتله . .

وحتى لو علم ، لم يكن (أدوم صبرى) ليأبى بكل هذه
العوامل مجتمعة . .

لقد كان ينطلق لهدف واحد ، لا تستطيع قوة في الأرض أن
توقفه عن المضى إليه . .

إنقاذ (منى) . .

كان يعلم جيداً ما ينبغي إرسالها إلى (موسكو) ، واستجوابها
هناك . .

وما كان يسمح بذلك ، مادام في جسده عرق واحد
ينبض بالحياة . .

ومن العجيب أنه قد قطع طريقه كله ، دون أن يلمحه
رجل واحد من رجال (مارسيل) ، حتى وصل إلى السفارة
السوفيتية ، في ذلك الحين الهادئ من أحياء (باريس) .

وأوقف (أدهم) سيارته إلى جوار السفارة ، وجلس
داخلها يفكر في عمق ، ويدرس الموقف في رؤية وإحكام ..
كان المكان يسبح في ضوء النهار ، في تلك الساعات الأولى
من الصباح ، وكان هناك أكثر من خمسة حراس مسلحين
بحرسون السفارة ، والافتحام بالقوة لن يسفر إلا عن معركة
عيفة ، قد يذهب ضحيتها ، تفقد (منى) الأمل الوحيد في
التحاة ، والتسلل خفية أيضا لن يفلح ، مع ضوء النهار
الفاضح ..

ليس أمامه إذن سوى أن يلجأ إلى الخيلة ..

خيلة بالغة الجزأة والتهور ، إلى الخلد الذي يُذهل
خصومه ، ويتركهم ، ويمنحه الفرصة للنجاح ، وتحقيق
مآربه ..

ولى هدوء .. صفف (أدهم) شعره بأصابعه ، وأعاد
الخلاصات المتتصلة بجيشه إلى موضعها ، ثم تحسّس لياحه ، ليجد
أنها قد قاربت الجفاف ، ثم أدار محرك سيارته ، واتجه بها في
هدوء إلى بوابة السفارة ، وقال لحارسها في فرنسية ، تحمل
اللكمة الروسية :

— أريد مقابلة الرفيق (سرجي كوروبوف) للضرورة
القضوى .. أخبره أنني أحد الرجلين ، اللذين تركتهما في
الخزن القديم ، وأن الأمر عاجل وبالغ الخطورة .

عاجل ، وبالغ الخطورة ؟ ..

هكذا هتف (سرجي) ، حينما أبلغه الحارس بالأمر ، ثم لم
يلت أن عقد حاجبيه مفكرا ، قبل أن يسأل الحارس :

— ألم يدرك عن اسمه ؟

أجابه الحارس في هدوء :

— هذا كل ما أخبرني به باسدي .

عاد (سرجي) يعقد حاجبيه مفكرا ، قبل أن يسأله مرة أخرى :

— ما نوع السيارة التي أتى بها ؟

أجاب الحارس :

— (سترولين) حمراء ، ذات سقف أسود .

غمغم (سرجي) في خيرة :

— نعم .. إنها سيارتهما .. ولكن ما الأمر العاجل ، البالغ

الخطورة ، الذي جعلهما يخاطران بمخالفة كل الأوامر ،

وشروط السرية ، وإرسال أحدهما إلى هنا ؟

كان الأمر يبدو له عجيبا ، مثيرا للقلق ، وإن لم تخافوه ذرة
واحدة من الشك ، في أن القادم هو أحد الرجلين ، اللذين
تركهما لحراسة العِزْن .. فهما وحدهما يعلمان أنه الآن في
السيارة ، ثم إن السيارة تخصهما ..

ولقد دفعه هذا إلى أن يقول في خفق :
— حسنا .. سأقابلة .

ذهب الحارس ليعود بالرجل ، في حين التفت (سيرجى)
إلى الملحق العسكرى ، وهو يقول في خفق :
— لو أن ذلك الذى لم يكن يحمل أخبارا تستحق
فسا

بسر عباره فجأة ، حينما سمع صوتا يقول في برود ساخر :
— ماذا سيعمل به أيا (الكوبرا) ؟
تحدثت الدماء في عروق (سيرجى كوروبوف) ، واستدار
في حركة حادة إلى مصدر الصوت ، واتسعت عيناه في
ذهول ، وهو يحدق في وجه الرجل ، الذى يقوده الحارس إلى
الداخل ، وقفزت من قلبه صرخة ، لم تكده تصل إلى شفتيه
حتى تحولت إلى هسه مبخوخة ، وهو يتف :
— مستحيل !!

فلقد التفت عيناه بعيني الرجل ، الذى ظن أنه قد تخلص
منه منذ ساعات ..
الرجل الذى يحمل لقب (رجل المستحيل) ..

كان ذلك الانفعال العجيب ، المتداخل ، الذى يجمع
ما بين الاستكثار ، والذهول ، وبعض الدغور والفرع ، والذى
ارتسم على وجه (سيرجى) ، وهو يحدق في وجه
(أدهم) ، كقبلا بأن يقفز الحارس إلى الخلف ، ويتزعج
مسدده ، ويخكم قبضته على مقبضه ، وهو يصوبه في تحفز
وتوتر إلى (أدهم) ، في حين قفز الملحق العسكرى من
مقعده ، وهو يتف في دهشة :
— ماذا يحدث هنا ؟

كان أول من أجاب سؤاله المتوثر هو (أدهم) ، الذى
قال في هدوء :
— لست أدري يا سيدي الملحق العسكرى .. لقد أتيت
لاصطحاب رفيقتى فحسب ، ولست أدري لم أثار ذلك كل
هذا الدهول والتوتر ..
اتسعت عينا الملحق العسكرى في دهشة وخيرة ، وهو يغمغم :

— رفيعتك ١٧ —

ابسم (أدهم) . وكاد ينطق بكلمة ما ، لولا أن انترخ
(سرجي) نفسه من ذهوله دفعة واحدة ، وصرخ بكل
ما يحمل من غضب وسخط ، موجها حديثه إلى الحارس :

— اقله .. أطلق عليه النار بسرعة
ويدون لحظة واحدة من التردد ، أو ذرة من التفكير ،
أطاع الحارس الأمر
وأطلق النار ..



٤ — الهدف .. (مصر) ..

ألق (كلوديا موريس) أوامرها وتعليماتها ، لرجالها الذين
يعملون على إعداد ردة العرض ، الخاصة بعرض الأنياء
الخاص ، في ذلك الفندق الفاخر ، في قلب (القاهرة) . وقد
بدا من الواضح أنها تغالي العصبية والتوتر الشديدين ، وهي
تتحرك في كل مكان ، وتسبب ساخطة كلما تلقا أحد الرجال
في أداء عمل ما ..

واقرب منها فرنسي وسيم . وقف لحظة أمامها صامتا ، قبل
أن ينحني على أذنها ، هامسا في هدوء :

— لقد تم إعداد كل شيء يا سيدي .

سألته وهي تشعل سيجارها في عصبية واضحة :

— وماذا لو أن الرجل المشهود لم يحضر العرض ، بسب

انشغاله مثلا بالعمل ، أو شيء من هذا القبيل ؟

ابسم وهو يحجب في هدوء :

— سيأتي يا سيدي .

صاحت في حق :

— لم يدرك الجميع هادين والثقيين إلى هذا الحد ؟

وتنهت فجأة إلى أنها قد نطقت عبارتها الأخيرة بصوت صارخ ، فعقدت حاجبها في حق ، وهي تستطرد هامة :

— بلوح لي أنسى أقل الجميع علمًا بما سيحدث الليلة .

تجاهل الرجل حقيقها ، وقال في هدوء :

— يمكنك أن تصعدى إلى حجرتك يا سيدي ، فأنت بحاجة لبعض النوم والراحة ، حتى تتأقلى في غرضي اليوم . وسأقول أنا كل شيء .

خامرها شعور بأن الرجل يريد إبعادها عن المكان عمداً ، وكادت تصرخ وتعرض في عناد ، لولا أن أبقت عبارته تعبا وإرهاقها ، فعمست في حق :

— يدرك أنك على حق .

ثم اندفعت فجأة تغادر القاعة ، وهي تضعف في صوت غير مسموع :

— فليعملوا ما يفعلونهم .. المهم أن تنجح العملية ، وأعود إلى فرنسا ، بأسرار مصر . هذا هو الهدف ..

أطاع حارس السفارة السوفيتية أمر (سيرجي كوربوف) بلا تفكير ، فأطلق رصاصة مسلّمة نحو (أدهم صبرى) . ولكن الرصاصة اخترقت هواء الحجارة ، قبل أن تستقر في الحائط المقابل ، في صوت مكتوم ، دون أن تصيب هدفها ..

لأن الهدف لم يكن هناك ..

فلم يكذب (سيرجي) ، يصرخ بذلك الأمر ، حتى غاص (أدهم) إلى أسفل فجأة ، وتحرك بسرعة استجابة مذهلة . فقفز جانباً ، وطلّوح قدمه لتركل المسدس من يد الحارس ، ثم قفز يلتقطه في الهواء ، وركل الحارس في وجهه ركلة قوية ، ألفته مترين إلى الخلف ، فارتطم ظهره بجدار الحجارة في قوة . قبل أن يستقر (أدهم) على قدميه ، ويضرب المسدس إلى الجميع ، قائلاً في هدوء ساخر :

خذاري أيها السادة ، لقد قلبت الأمور .. أنا الذي يحمل المسدس الآن ..

صاح (سيرجي) في غضب :

— لو تظن أنك سخلت من هنا فأنت وأهم . ولو

قاطعة الملحق العسكري ، وهو يسأل (أدهم) في صرامة :
 - من أنت ؟ وماذا تريد ؟
 انحنى (أدهم) في حركة مسرحية ساخرة ، وهو يقول :
 - (أدهم صري) أيها الرفيق . ولست أريد سوى
 رفيقتي . التي تحتجزونها دون وجه حق .
 قال الملحق العسكري في غضب :
 - ولكنك تشك خومة أرض سوقية بهذا الأسلوب الفج
 رفع (أدهم) حاجبيه في دهشة مصطنعة ، وهو يقول :
 - أي أسلوب فيج أيها الرفيق ؟ لقد دخلت السفارة من
 بوابتها الرئيسية ، وبصحبة أحد حراسها ، ولكن الرفيق
 (سرجي) أمر الحارس بقتل ، فلم أفعل سوى أن دافعت عن
 حياتي .
 صاح (سرجي) في سخط :
 - كيف تتصور نجاحك في الخروج من هنا ؟
 ابتسم (أدهم) في سخرية ، وهو يقول :
 - إنني لم أتصور ذلك في الواقع أيها الرفيق (الكوبرا) .
 فلقد كانت كل مشكلتي هي الدخول لإحضار رفيقتي ، وليس
 الخروج .



وطرح قدمه لتترك السلسلة من يد الحارس . ثم قفز بانقطاع في الهواء ،
 وترك الحارس في وجهه ركلة قوية .

سأله الملحق العسكري في جلدته :

— أي رفيقة تلك ؟

أجابته (أدهم) في هدوء :

— تلك الفتاة المصرية ، التي تنزّون شحنتها إلى (موسكو) ،

في حقيبة ديبلوماسيّة .

ظهرت الصرامة على وجه (سيرجي) ، في حين نقل الملحق

العسكري بصره بينه وبين (أدهم) ، قبل أن يقول في برود :

— ليس هناك أساس لهذا الذي تتحدث عنه أيها الرفيق

(أدهم) ، فلا توجد لدينا أية فتاة مصـ

قاطعه (أدهم) في صرامة :

— بل توجد أيها الملحق العسكري ، وإذا أردت أن تتحدث

بمزيد من الصراحة ، فهي تنتمي إلى المخابرات المصرية .. وهذا

يعني أن اختطافكم لها ، على هذا النحو ، إعلان للعداء بين

دولتنا ، وعليكم أن تتحملوا كل النتائج المترتبة على هذا أمام

دولتي ، التي لا تنفّر أبداً هذا النوع من الاعتداء على رجالها .

أثارت كلماته قلق الملحق العسكري ، الذي نقل بصره إلى

وجه (سيرجي) البارد الصارم ، قبل أن يعود بعينه إلى

(أدهم) مطمئناً في صمت لم يقنعه هو نفسه :

— قلت لك إنه لا توجد لدينا أية مصريّات .

ظهر الغضب على وجه (أدهم) ، وهو يقول في جلدته :

— كفّ عن هذه المناورات المكشوفة أيها الملحق

العسكري ، ولا تؤرّط نفسك في عملية فاشلة .. لست أدري

ما الذي أخبرك به هذا (الكوبرا) ، ولكنه يسعى للانتقام

شخصي بحت ، قد تدفع دونه كلها ثمنه .. فليكن .. سأكشف

الأوراق كلها على مائدتك .. لقد أرسلت دولتك (سيرجي

كوريوف) هذا ، ليقصص من (جوزفين مونييه) ، تلك الفتاة

التي سرقت سِر طائرتكم الجديدة ، ونشرته على الصفحة

الأولى لجريدة (لوموند) الفرنسيّة .. ولقد كنا أنا وزميلتي

نسمى بلدورنا خلف الفتاة ، للغرض نفسه ، ولكن الرفيق

(سيرجي) تسرّع في قتل الفتاة ، قبل أن يستحويها ، ليعلم منها

أسماء من عاونوها على الحصول على أسراركم ، أو كم تمكك من

تلك الأسرار ، وحينئذ تنبّه إلى خطئه ، أراد أن يخلص فشله بقتل ،

واختطاف زميلتي ، لتسوية حساب شخصي قديم ، دون النظر

إلى العواقب ، وهذا يخالف واجبه في مخابراتكم .

اتسعت عينا الملحق العسكري في دهشة ، أمام هذا السيل

من المعلومات ، في حين بدا (سيرجي) شديد الغضب والخفق ،

وهو يقول :

— بل أنت الذى يورط نفسه فى أمر يفوق طاقته أيها
الرفيق (أدهم)، فلقد اتحمت سفارتنا، وهددت رجل
مخابرات سوفيتى، والملحق العسكرى للسفارة بمسك،
ويحق لنا فلك هنا، دون أن نتحمل أدنى وزر.

ثم جلت لهجة بعض السخريه، وهو يستطرد:

— ألم تسأل نفسك لم لم يبرح حراس السفارة كلهم إلى
هنا، على صوت رصاصة زميلهم، التى استقرت فى جدار
الحجرة ؟

ارتفعت ابتسامة ساخرة على شفتي (أدهم)، وهو يقول:

— كنت أنسأل فى الواقع.

الدفع (سرجى) يقول فى جلة:

— لأنهم ينتظرونك جميعاً خارج الحجرة أيها المفرور، ولن
يمكنك مغادرة المكان، إلا وأنت تحمل فى جسدك عددًا من
الرصاصات، يكفى لصنع صندوق من النحاس الثقى.

وبرقت عيناه فى شراسة، وهو يستطرد فى تشف.

— لقد أقدمت على لعبة خاسرة أيها المصرى، والمصر
الوحيد الذى ينتظرك هنا هو الموت.. الموت وحده..

ساد الصمت لحظة، بعد عبارة (سرجى) الأخيرة،
تعلقت خلالها عيون الرجال الثلاثة بوجه (أدهم)، الذى
ظل هادئًا، ثم لم تلبث ضحكة ساخرة أن انطلقت من بين
شفاه، وهو يقول:

— خطأ أيها الرفيق.. خطأ.. لئى هل تجهل بالفعل
القواعد المعمول بها فى كل السفارات السوفيتية، فى جميع أنحاء
العالم، أم أنك تحاول خداعى بهذا الأسلوب الساذج ؟
ثم أشار إلى جدار الحجرة، وهو يستطرد بنفس الأسلوب
الساخر:

— إن جدران الحجرات كلها هنا مصنوعة من مواد غازلة

للصوت، حتى الباب والنوافذ، لمنع أية محاولة لدس جهاز
تصغرت دقيق من الخارج.. إنها قاعدة فى كل سفاراتكم أيها
(الكبرى)، والجميع يعلمون هذا، حتى المخابرات الأمريكية.

ظهر سخط شديد على وجه (سرجى)، وهو يغمغم:

— أيها الشيطان المفرور !!

أما الملحق العسكرى، فقد ألقى نفسه على مقعده، وقد
شعر بإحباط شديد، لأن (أدهم) كشف هذه الخدعة،
وقلب كفيه، وهو يغمغم فى بأس:

— والآن ماذا نفعل ؟

حظ به (أدهم) في ثقة عجيبة :

— لا تترك نفسك بهذا للخيرة والقلق أيا الرقيق .. اتصل

برؤسائك في (موسكو) ، واعرض عليهم الأمر ، واستشرهم

فيما ينبغي فعله ..

صاح (سيرجي) في غضب :

— ليس من حقك أن تولى علينا ما ينبغي أن نفعله .

اتسم (أدهم) في برود ، في حين تردّد الملحق العسكري

خطة ، ثم التقط ساعة هاتف أحمر خاص ، وهو يقول في أسف :

— نعم .. يبدو أن هذا هو الأسلوب الوحيد لحسم الأمر .

استمع الملحق العسكري السوفيتي في اهتمام ، لحديث

المستولين في (موسكو) ، ثم اكتست بملامحه بفتاح من الصرامة

والحزم ، وهو يغمغم :

— نعمًا وطاعة ..

ثم وجع الساعة ، والتفت إلى الخارص . قائلاً في لهجة

أمرة ، لا تحتمل النقاش :

— أحضر الفتاة المصرية إلى هنا .

ارتسمت ابتسامة ارتياح على شفتي (أدهم) ، في حين

صرخ (سيرجي) في غضب :

— كيف !! .. هل تستسلمها له لقمة سائغة ؟ .. لقد بذلت

جهداً كبيراً حتى

صاح به الملحق العسكري في صرامة :

— كفى أيها الرقيق (سيرجي) .

ثم نهض من خلف مكتبه ، وهو يواصل في جدة غاضبة :

— لقد استاء الرؤساء مما فعلت استياءً بالغاً ، ويقولون إن

أساليبك تبدو أقرب إلى رجال العصابات ، منها إلى رجل

مخابرات ، ويأمرونك بإطلاق سراح فتاة اختبايرات المصرية على

الفور ، فعلقتنا بعصر جيدة للغاية هذه الأيام ، وهم يكرهون

إفسادها بجرؤد رغبتك في انتقام شخصي .

صاح (سيرجي) في استكار :

— ولكن ..

عاد الملحق العسكري يقاطعه في صوت هادر :

— قلت كفى .

ثم التفت إلى الحارس ، مكرّراً أمره في صرامة :
— أحضر الفتاة .

تعلّقت (منى) بذراع (أدهم) ، واغرورقت عيناها
بدموع السعادة ، وهى تهتف :

— (أدهم) ! أنت حى ؟ .. هذا الله ! هذا الله !
رئت (أدهم) على كنفها فى حسان ، فى حين خدجهما
(سرجى) بنظرة نارية ، وهو يغمغم :
— لن يظل كذلك طويلاً .
أما الملحق العسكرى ، فقد صافحهما ، وهو يقول فى
هدوء :

— لست أدرى كيف حدث هذا أيتها الرفيق (أدهم) ؟ ..
إنها المسابقة الأولى فى سياسة دولتى . من الواضح أنك رجل
محظوظ للغاية .

ابتسم (أدهم) ، وهو يقول :
— بل هى إرادة الله (سبحانه وتعالى) يا سيدي .
تشبكت (منى) بذراعه ، غير مصلقة بنجاحه ، ولا بانقاده
لما عل هذا النحو العجيب ، الذى لم يسبق حدوثه فى أية سفارة

تابعة لدولة أجنبية ، فى حين التفت هو إلى (سرجى) ، الذى بدا
حائفاً ، متشاعلاً ، بإشغال واحدة من سجلاته ، ذات
الروائح القاذرة ، وقال :

— وداعاً أيتها الرفيق (الكوبرا) .
التفت إليه (سرجى) ، يحدّجه بنظرة نارية ، وهو
يقول :

— سنلتقى أيتها الرفيق (أدهم) .
ثم أردف فى لهجة تحمل كل بغضه وكراهيته وغضبه :
— وعندما نلتقى ، سيكون أحداً جُتةً هامدة .
ابتسم (أدهم) ابتسامة ساخرة ، وهو يقول فى هدوء :
— نعم أيتها (الكوبرا) . سنلتقى .
وأسرع يغادر السفارة السوفيتية مع (منى) ، ولم يكند
يتلف إلى السيارة الفرنسية ، ويدير محركها ، حتى هتف رجل
يقف على ناصية الطريق :

— يا للشيطان !!! ها هو ذا الرجل الذى تبحث عنه !
سأله رفيقه فى دهشة :
— وماذا كان يفعل فى السفارة السوفيتية ؟
أجاب الأول : وهو يفرغ إلى سيارته .

— ذكك من هذا يا صديقى .. المهم أنا قد وجدناه ..
خلق به زميله فى السيارة ، وأدار الأژل محرّكها ، وانطلق
بها حلف سياره (أدهم) ، فى حين تأكّد الثانى من حشو مدفعه
الرشاش ، ثم التقط سماعة هاتف السيارة ، وقال وهو يتابع
سياره (أدهم) بعينه :

— الو .. مرحبا يا (مارتان) .. عندى لك أخبار ساورة ..
لقد عثرنا على الصيد ، ونحن فى طريقنا لتصفيته .. أبلغ الزعيم
لجنة الملايين الثلاثة .. ستعود إليه بحجة الشيطان المصرى بعد
قليل .

وارتسمت على شفتيهما اتسامة وحشية وإثقة ..



٥ — مدينة العصابات ..

تهدّدت (منى) فى ارتباح غامر ، واسترخت فى مقعدها ،
وهى تهف :

— لست أصدّق بعد .. لقد كان ذلك رائعا .. أظن أنا
أول من يغادر سفارة سوقية على هذا النحو ..
اتسم (أدهم) ، وهو يقول فى هدوء :

— لن يملكك الحزم بذلك أبدا يا عزيزتى ، فالسوقية
يميلون إلى التكتّم فى كل ما يخص شئونهم الداخلية ، وهم يثيرون
إعجابى بالفعل ، فإخلاصهم لدولتهم أمر رائع ، يجعلنى
أحترمهم دوما .

ارتسمت على شفتيهما اتسامة خيشة ، وهى تقول فى
تكاسل :

— من حقك بالطبع أن يكون لك رأى خاص ..
تظاهر بعدم فهم معنى عبارتها ، وهو يقول :

— المهم أن تدخّل (سرجى كورسوف) فى الأمر ، قد

أضاع منا وقتاً ثميناً ، فبحسب لا تعلم بعد أين ينوي (ملائكة
الجحيم) توجيه ضربتهم الجديدة .

عقدت حاجبها ، وهي تغمغم في سخط :

— يا إلهي ! كذبت أسى أمر هؤلاء الأوغاد .

ثم أردفت في اهتمام :

— أعتقد أننا لو أخذنا في الاعتبار مهمتهم الأولى ، في

الاتحاد السوفيتي ، فيكون من المنطقي أن تتوجه ضربتهم
الثانية إلى الولايات المتحدة الأمريكية .

هز رأسه نفياً في بطله ، وهو يقول :

— لا أظن ذلك يا عزيزتي ، فهذه هي الضريرة التي

يتوقعها الجميع ، لذا فلن يلجئوا إليها ، ثم إن وجود (سونيا

جراهام) على رأس هؤلاء الأوغاد ، يجعلني أميل إلى ...

بتر عبارته فجأة ، وعلى نحو آثار انتباه (مى) ، فسألته في

قلبي :

— ماذا حدث ؟

أجابها وهو يتطلع إلى امرأة سيّارته في اهتمام :

— هذه السيّارة السوداء خلفنا .. أظن أنها ...

مرّة أخرى لم يم عبارته ، فقد انحرقت السيّارة السوداء

إلى يسارهم فجأة ، وزاد قائدها من سرعته لينطلق بمحاذاهم
ثمائفاً ، في حين أخرج الثاني ماسورة مدفعه الرشاش من نافذة
السيّارة ، وأطلق النيران في غزارة ..

انطلقت صيحة (سونيا جراهام) كالقنبلة ، في وجه

(مارسيل بيكر) ، وهي تهتف :

— عثروا عليه ! .. أبلغ كل رجالك بالأمر إذن

يا (مارسيل) .. فرّهم بمحاصرته من كل الجوانب ، وإطلاق

النار عليه بلا رحمة .

اتسم (مارسيل) في هدوء ، وهو يقول :

— اهدئي يا عزيزتي (برجيت) .. إن (مارسيلان)

و (سينوريه) يتطلقان خلفه ، وهما من أفضل رجالى ، ولم

تظلت منهما فريسة قط .

صرخت في غضب :

— إلّا (أدهم صبرى) .. ألم تعلمك تجربتك السابقة في

التعامل معه بعد ؟ .. هل نسيت كيف قتل أسدك الغيبى بيديه

العازتين ؟

ارتسم القصب على ملاع (مارسيل) الوسيمة ، حينما

أعادت إليه كلمات (سونيا) ذكرى أسده الصريع ، وهتف
في جلبة :

— كفى يا (برجيت) .. أنا الذى يلقى الأوامر هنا ،
ولن أمتحن قلب (ملك العصابات) ، لو أنسى تلقيت
أوامرى من امرأة ، حتى ولو كانت شقراء فاتنة مثلك ..
تراجعت ، وهى تقول فى لهجة أقرب إلى الرجاء :

— ولكنسى أكثركم معرفة بـ (أدهم صبرى) .. إنه
شيطان ..

أجابها (مارسيل) فى صرامة :

— وأنا (ملك العصابات) فى (فرنسا) يا (برجيت) ،
وسترين لمن يكون النصر ، لـ شيطان منفرد ، أم لـ (ملك
العصابات) ؟

* * *

كثيراً ما يُهدر الساعات فى حياتنا اليومية ، دون أن ندرك
قيمتها ، ودون أن نعى لنا الكثير ، وقد نرُدّد كثيراً تلك
الحكمة التى نقول : الوقت من ذهب ، ولكننا نكفى
بجهدٍ ترددها ، دون أن نصنع منها قاعدة حياتنا ..

أما بالنسبة لـ (أدهم صبرى) ، فالأمر يختلف ..

لقد كانت أول قاعدة ، لقَّنه إياها والده (رحمه الله) وهو
يُدربه على أعمال الخباير ، أن الثانية الواحدة قد تكون الحد
الفاصل بين الموت والحياة ، بين النصر والهزيمة ، بين البقاء
والضياع ..

ولقد وعى (أدهم) هذا اللزس جيِّداً ، وأكسدت له
خبرته بالعمل فى عالم الخباير ، أنها قاعدة صحيحة ، لا تقبل
الجدل ..

ففى هذه اللحظة مثلاً ، كان الفارق بين الموت والحياة ثانية
واحدة ..

لم يكن (ماريان) يخرج مأسورة مدفعه الرُّشاش من نافذة
السَّيَّارة ، وقبل أن تصطف سيارته الزُّنَاد بثانية واحدة ، انحنى
(أدهم) فى سرَّعة البَرْق ، ودفع (منى) بذراعه ، ليَجبرها
على الانحناء بدورها ، ثم انحرف بسيَّارته يساراً ، نحو السيارة
المطاردة ..

وانطلقت رصاصات (ماريان) لتضطم نافذة السَّيَّارة
اليسرى ، وزجاجها الأمامى ، قبل أن تُضْرَق فوق رأسى
(أدهم) و (منى) ، وتنفذ من النافذة الجنى الأمامية ،
وتلك الخلفية ، فى حين ارتطمت مقدمة سَيَّارة (أدهم)
بمقدمة سَيَّارته ، فاحتل توازنه لحظة ، وهو يَسُبُّ سائحاً ..



وفوجئ به (ماريان) و (سينوريه) بفقر من نافذة سيارته ، وبغبر
النافذة الخلفية اليمنى لسيارتهما ، محطماً زجاجهما في قوة ..

ول توافق مذهل عجيب ، صنعته الترابط ، والفهم ،
والعمل المشترك ، اعتدلت (مى) تمسك عجلة القيادة في
إحكام ، حتى لا ترتطم السيارة في اندفاعها بالسيارات
الأخرى في الطريق ، ل حين انشئ جسد (أدهم) ، وانفرد ،
كأنما هو مصنوع من المطاط ، وفوجئ به (ماريان)
(سينوريه) بفقر من نافذة سيارته ، وبغبر النافذة الخلفية
اليمنى لسيارتهما ، محطماً زجاجهما في قوة ، يستقر في مرونة
مذهلة على المقعد الخلفي ..

ولقد آزاد (ماريان) أن يستدير ، ليطلق عليه النار ،
وشاء (سينوريه) أن يصحرف بالسيارة على غير مقاصد ،
ليفقده توازنه ، ولكن أحدهما لم يحقق ما أرادته قط ، فقبل أن
يصحرك (ماريان) قيد اللحظة ، كانت قبضة فولاذية تهوى على
أذنه كالقشة ، ف شعر بالأم مبرحة في مخه ، حتى تحيل إليه أنه
سبيل غير نقي أنفه ، ثم لم تلبث لكمة أخرى أن حطمت هذا
الأنف ، وساد بعدها ظلام اللاوعي في عقل (ماريان) ..

ورأى (سينوريه) ما حدث ، فعدل عن فكرته ، إثر
زعب هائل ملأ أعماقه ، وتغلب على عجلة القيادة ، ليرفع
ذراعيه مسلحاً ، صائحاً :

— إننى أستسلم . لا تعصمنى .. إننى أستسلم .

صاح به (أدهم) فى صرامة :

— أمسك عجلة القيادة ، وأوقف السيارة ..

أسرع (سيبوريه) أمسك عجلة القيادة بكلتا قبضتيه فى قوة . وهو يعصر (كمامة) سيارته بقدمه . حتى صرخت السيارة فى صرير مزعج ، قبل أن تتوقف على جانب الطريق . واندفع عشرات المارة ، الذين أذهلهم ما حدث نحوها ، حتى لقد وجد رجل الشرطة الفرنسى صعوبة بالغة فى الوصول إليها . وهو يشق طريقه بين الجموع ، حتى أصبح إلى جوار السيارة ، فأخرج دفتره وقلمه ، وهو يقول فى هدوء :

— والآن ماذا حدث بالضبط ؟

أجابته أحد الخبطين بالسيارة فى انفعال :

— لقد قفز ذلك الرجل من سيارته إلى تلك السيارة ، وانتقلت زميلته لتحل مقعد القيادة فى سرعة ومهارة . لم أشهد مثلهما حتى فى أفلام المغامرات الأمريكية ..

قاطعده رجل الشرطة فى صرامة :

— رُوِّدك حتى يمكنك تسجيل ما حدث .. والآن أين ذلك الرجل الذى قفز ؟

والخنى ليتطلع داخل السيارة السوداء ، ثم عقد حاجبيه فى ذهشة ، حيناً وقع بصره على رجلين ، تهشم ألف أحدهما ، وبرزت كدمة كبيرة فى مؤخرة عنق الآخر ، فاعتدل وهو يكرر سؤاله فى حدة :

— أين ذلك الرجل ورقيقته ؟

ساد الصمت وهلة ، قبل أن يفهم رجل آخر :

— سيارتهما متوقفة هناك ، وقد أصابتها كومة من الرصاصات .

عاد الشرطى يسأل فى عصبية :

— ولكن أين هما ؟

لم يجبه أحد هذه المرة ، وتلفت الجميع حولهم فى خيرة ، فقد اختفى (أدهم) و (منى) تماماً ، وكأنهما ابتلعتهما المدينة .. مدينة العصابات ..



٦ - جولة بوجوه جديدة ..

امتلات عروق (سونيا جراهام) بفضب هائل ، تجتمع في صدرها من حنجرتها على هيئة صرخة هادرة ، وهي تقول :

— هل رأيت ؟! .. لقد فقدتهما بفورك يا (مارسيل) :
أشعل (مارسيل) سيجارته في عصية ، وهو يقول في جدّة :
— لقد كان الرجل محظوظاً هذه المرة يا (برجيت) ، ولكن
حظّه هذا لن يدوم طويلاً .

صاحت في سخرية قهقهة :

— حظّه ؟! .. يبدو أنك لم تدرك بعد أي رجل تقاثل ،
أو أن غرورك يدفعك لرفض الاعتراف بذلك .. إن (أدهم
صبرى) هذا هو أخطر رجل محاورات في العالم أجمع ..
هتف في عصية :

— هل تسمين لتحطيم معنوياتي يا (برجيت) ؟

أشعلت سيجارها يدورها ، لتفت غضبها مع دُخانها ،
وهي تقول :

— كلاً .. وإنما أحاول تبصيرك بقدرات خصك
فحسب ، فلقد نجح في الإفلات من موت محقق عشرات
المرات ، فغرد أن أحداً لم يحسن تقدير قدراته .
صاح في حق :

— قلت لك إنه لن يفلت من رجائي ، مادام بين حدود
(فرنسا) .

كادت تمزق سيجارها بأسنانها ، وهي تقول :
— المهم أن تعثر عليه مرة أخرى .. لقد أضعت فرصة
نادرة ، لتفتك في قدرات رجالك ، التي لا تساوى مقدار
خردلة من قدراته ، على الرغم من أنه لم يُبزل كل أنيابه بعد .
هتف في سخط :

— فليُبزل كل أنيابه ، ولترأينا أحداً أنيانياً .
ثم التقط ساعة هانف ، وضغط أزراره في عصية ، فسأله
في توتر :

— ماذا ستفعل ؟

أجابها في صرامة غاضبة :

— ليس لهذه المكالمة شأنٌ بشيطانك يا (برجيت) .. إنني
أتصل بمحامى الخاص (آلان لويس) ، فلقد ألقى رجال الشرطة

القبض على (ماريان) و (سينوريه) ، ويخوڑتهما مدفع رشاش ، وهذا يحتاج إلى حمام قدير ، يجيد الفوص في أعماق القانون ، والنقاط لقرائته .

سأله في مزج من الدهشة والعصية :

— وماذا عن (أدهم صبرى) ؟

خدجها بنظرة نارية ، وتجاهل إجابة سؤالها تمامًا ، وهو يقول غير المهاتف :

— أنا (مارسيل) يا (آلان) .. لقد ألقت الشرطة القبض على اثنين من رجالنا و.....

قاطعهم (آلان) في اهتمام :

— أعلم يا (مارسيل) .. لقد أبلغني (مارتان) منذ لحظات ، وطلبت منه أن يأمرهما بالانضمام الصمت ، حتى أذهب إليهما على الفور .

سأله (مارسيل) في هدوء :

— هل يمكنك معاونتهما ؟

هتف (آلان) في ثقة :

— بالطبع يا (مارسيل) .. لقد عثرت عليهما الشرطة فاقدى الوعي ، وكان (ماريان) يرتدى قفازًا ، ولن يتمكنهم

إثبات أن المدفع الرشاش يخصهما ، خاصة أن الرجل الذى أطلقا عليه النار قد احتضى .. اطمئن يا صديقى ، لن يتجرح رجال الشرطة في اعتقالهما ، وسيم كل شيء بالقانون .

غمغم (مارسيل) في هجة جافة :

— هذا عظيم .

ثم وضع السماعة ، وهو يلتفت إلى (سوليا) ، التى تنفث دخان سيجارتها في حنق ، وقال :

— سيم كل شيء بالقانون .

كان يكرّر — دون أن يدري — عبارة محامية الأخيرة ؛ لذا فقد أدهشه ذلك البريق الذى انبعث فجأة من عيني (سوليا) ، وهى تهتف :

— يا للشيطان !!! القانون !.. كيف لم أفكر في هذا ؟ وانتابها الانفعال ، وهى تستطرد :

— أعزني اثنين من رجالك يا (مارسيل) .. سأعود إلى منزلى ، فلقد وجدت الطريقة المثلى .

سألها في دهشة :

— المثلى لماذا ؟

اتمعت ابتسامة ذهاء على شفيتها ، وهى تقول :

— الطريقة المثلى لوضع عزيزنا (أدهم صبرى) بين شقى
الرحى .
ومن بين شقيها الجملتين ، انطلقت ضحكة شرسة
خفيفة .

* * *

استعت عينا الرائد (وليد) فى دهشة ، حين أجاب نداء
جرس منزله ، فقوجى بـ (أدهم) و (منى) أمامه ، ولكنه
أسرع يتحى جانباً ، ويفسح لها الطريق للدخول ، وهو
يسأل (أدهم) :

— ماذا حدث ؟

أغلقت (أدهم) الباب خلفهما فى هدوء ، وهو يقول :

— لا عليك يا صديقى .. إنها جولة سريعة مع (ملائكة
الجمعيم) ، درس صديق سوفيتى أنفه فيها ، فصعدت الأمور
بعض الشيء .

غمغم (وليد) فى دهشة :

— صديق سوفيتى ؟

ألقت (منى) جسدتها المكشود على أقرب مقعد ، وتناهت
فى نهالك ، فى حين انسم (أدهم) ، وهو يجيب :

— سأقص عليك كل التفاصيل فيما بعد يا صديقى .
أما الآن فنحن نحتاج إلى معاونتك .
هتف (وليد) فى حماس :

— إنى رهن إشارتك يا سيادة المقدم .

اعتدل (أدهم) ، وهو يقول فى اهتمام :

— اسمعنى جيلاً يا صديقى .. لقد أخبرنى أحد أوغاد
(مارسيل بيكر) ، قبل أن أفقده الوعي ، أن ذلك الأخير قد
أطلق خلفنا كل كلاب الصيد ، من جميع أنحاء (فرنسا) . وكل
منهم يحمل صورتي ، مع وعد بمكافأة تبلغ ثلاثة ملايين فرنك .
مقابل رأسى .. وهذا يقضى ضرورة تبادل ملائحى ، وملاح
(منى) ، والإقدام على الجولة القادمة بوجود جديدة . فى حين
تقع حقبة التكرار الخاصة بى فى غرلتنا بالفندق .

قال (وليد) فى حماس متزايد :

— سأذهب لإحضارها على الفور .

انسم (أدهم) ، وهو يقول فى هدوء :

— كلا يا صديقى .. ستفترض أنهم سيتوقعون هذه
الخطوة ، مادامت صديقتنا (سوليا جراهام) تلعب فى
صفوفهم ، لذا فسنلجأ إلى وسيلة أكثر بساطة .. سنذهب

لشراء الأدوات اللازمة للتكر من أسواق (باريس) .
 وتستجد أنها مهمة بالغة السهولة ، في هذه المدينة بالذات ،
 فكل ما نحتاج إليه هو بعض العدسات اللاصقة الملونة ،
 وصفات الشعر ، وقليل من مساحيق التجميل ، وتستجد
 المتاجر زاخرة بمثل هذه الأشياء هنا .

أجاب (وليد) في اهتمام :

— سأذهب لإحضار ما تطلب على الفور .

أوما (أدهم) برأسه في ارتياح ، وهو يقول :

— أحسنت يا صديقي .. ستكون جولتنا القادمة مع ملك

العصابات حافلة .

ثم التفت إلى (منى) مستطردًا :

— أليس كذلك يا عزيزتي ؟

ولكن (منى) لم تبتغر جوابًا ، لأنها كانت غارقة في نوم

عميق ..



٦٠

٧ — إعداد جاسوس ..

كان عرض الأزياء الذي أقامته (كلوديا موريس) ، في
 ذلك الفندق الفاخر ، في قلب (القاهرة) رائعًا ، حفل بأروع
 لياب وموضات العام ، في تناسق بديع أنيق ، جعل أخصف
 الحاضرين تلتب بالتصفيق الحاذق ، الذي لم ينجح في التسلل إلى
 أعماق (كلوديا) ، التي بدت شديدة التوتر والعصبية . وهي
 تشغل سجاثنها واحدة بعد الأخرى ، وتلتبها في شراقة تلم
 عن انفعالاتها الشديد ، وهي تخلص النظر بين لحظة وأخرى ، إلى
 ذلك الرجل الوقور ، الأشيب الشعر ، الذي يجلس إلى جوار
 زوجته في الصفوف الأولى ، وقد ارتسمت على شفتيه ابتسامة
 هادئة ، وهو يتابع العرض دون شغف ، وكأنما جاء إرضاء
 لزوجته فحسب ..

كانت تعلم أن هذا الرجل بالذات هو هدف العملية كلها .
 ولقد وصل انفعالاتها وتوترها إلى ذروته ، حينما رأت أحد
 رجالها ، وهو يقترب من الرجل ، ويمسح يده بكلمة ما ،

— أين أنا ؟

رفع الأشقر إليها عييه ، وبدأت ابصامته الحاذلة خالوفة ، وهو يقول :

— اطمئني يا عزيزتي . أنت في منزل زميلنا (وليد) ، مدير مكنتنا في (باريس) . ولقد غلبك النوم ، بعد أن ظلمت مستيقظة طوال ليلة أمس ، فلهفوت خمس ساعات كاملة .

حدقت في وجه الأشقر في ذهشة ، ثم لم تلبث أن أطلقت ضحكة صافية ، وهي تقول :

— إذن فهو أنت !.. ألي تكف عن إثارة ذهني ، كلما بذلت ملامحك بهذه البراعة ؟

انضم (أدهم) ابصامة باهجة ، وهو يقول :

— أية براعة يا عزيزتي ؟.. إنها من أسوأ أساليب التكرار التي لجأت إليها .. مجرد شعر مضوخ ، وعدسات زرقاء وقليل من المساحيق .

ضحكت وهي تقول :

— هذا صحيح ، ولكنك تستخدم هذه الأشياء السيئة ببراعة فائقة .

والرجل يفقد حاجبيه ، وهو يتساءل عمن يطلبه في هذا المكان ، ثم ينهض ليرى الرجل ، وهو يحذر لزوجته ابصامة حاذلة ، وكادت تهاجر عن لمرط الانفصال ، حينما احتفى الاثنان . بعد عبورهما باب قاعة العرض ، ووجدت نفسها ترتجف ، وتعجز عن التقاط أنفاس مجاراتها ، وهي تتساءل في أعماقها :

— هل ستجرح العملية ؟

ومن حسن حظها أنها لم تكن تدرك أن ذلك العامل ، الذي يرتدي ثياب عمال الصدق المميّزة ، والذي خرج في أعقاب الرجلين ، لم يكن مجرد عامل عادي ، وإنما نهاوت ، واعترفت بكل شيء ، دون أن يطلبها أحد بذلك ..

فلم يكن ذلك العامل سوى النقيب (مدحت) .. أحد صباط المخابرات العامة المصرية ..

استيقظت (منى) من نومها العميق بفتة ، وتطلعت حولها في ذهشة ، ثم استقرت عيناها على ذلك الأشقر ، ذي العينين الزرقاوين ، الذي يجلس هادئاً على المقعد المقابل لها ، يفحص صديقاً كبيراً في عناية ، وهنفت في توتر وتحمّل :

ثم تهتت ، وهي تستطرد مداعة :

— ألم تفكر في الصباح صالون التجميل يا (آدم) ؟
أراهن أنك قادر على تحويل العجوز الشيطانية إلى ملكة جمال
فاتنة ، بلصات من يديك الساحرتين .

هز كتفيه ، وهو يدمس المسدس في جيب سترته ، قائلا :
— ربما فيما بعد يا عزيزي ، حينما أتقاعد .

صوت مسحة من الحزن في ملامحها ، وهي تغمغم :
— من النادر أن يبلغ أرباب مهنة سن التقاعد يا (آدم) .

شعر (آدم) بما أصابها ، فقبض وهو يقول في هدوء :
— هيا يا عزيزي ، جاء دورك لإبدال ملامحك ، فعلينا أن
نجد كل رجال (مارسيل بيكر) ، ونحن نغير شوارع
(باريس) أمام عيونهم ، حتى نصل إلى منزل صديقتنا
(سونيا جراهام) .

سألته في اهتمام ، وهي تهتس لأداء ما طلبه منها :

— لماذا لا نهاجم منزل (كلوديا موريس) مباشرة ؟ .. إنني
أعتقد أنها أقل بأمان من (سونيا) ، ولا تكاد تجد نفسها أمانا
حتى تنهار وتعرف بكل شيء ، فنعلم منها أين يتوون القيام
بعملياتهم القادمة .

عقد حاجبيه ، وهو يقول في هدوء :

— لا عليك يا عزيزي ، إننا نعلم أين ستكون ضربتهم
التالية .

سألته في دهشة :

— أين ؟

صمت لحظة ، قبل أن يجيبها في هدوء صارم :
— في مصر .

هتفت في دهشة :

— يا إلهي !! كيف عرفت ؟

عاد يجلس ، وهو يقول في ضيق :

— لقد أجريت اتصالا بالقاهرة ، في أثناء استغراقك في
النوم ، وعلمت منهم أن (كلوديا) قد وصلت إلى هناك صباح
اليوم ، وهي تقيم الآن عرضا للأزياء ، في أحد فنادق القاهرة
الكبرى ، وهم يراقبونها ، ولكن أحدا لا يدري ماذا تنوي أن
تفعل بالضبط .

غمغمت (منى) في مزيج من الدهشة والخيرة :

— يا إلهي !! ولماذا لا يلقون القبض عليها ، قبل أن
تضرب ضربتها ؟

مط شفيه ، وهو يقول في هدوء :

— كان الأجدر أن يرفضوا منحها تأشيرة دخول منذ البداية يا عزيزي ، ولكنهم رأوا أن يتعاملوا معها كمسألة عادية ، وسبلة أعمال ، ويكشفوا بمراقبتها سرًا ، عسى أن يكشف هذا شبكة جاسوسية خفية في (مصر) ، أو يقودهم إلى معرفة حقيقة نوايا (ملائكة الجحيم) .

عقدت حاجبها ، وهي تفكر في الأمر قليلاً ، ثم لم تلبث أن هزت كتفها ، وهي تقول :

— حسنًا .. لا ريب أنهم على حق ، فمخابراتنا تدرس مثل هذه الأمور في عناية ، وليس من السهل أن تخطئ تقدير الموقف .

اتسم وهو يقول :

— هذا صحيح .. والآن هيا لتبدلي ملاحظك يا عزيزي ، فيعود (وليد) بعد ساعة واحدة ، بعد أن يحصل على المعلومات اللازمة من (مارسيل بيكر) ، وعلينا أن نكون مستعدين لبده جولتنا الثانية لحظة عودته .

ارتسمت على شفتها ابتسامة مُفجئة بالحماس ، وهي تقول :

— سنجعلها بإذن الله الجولة الأخيرة .

ثم انهمكت في تبديل ملاحظها ، كما علمها هو ، في حماس شديد .

تظاهر النقيب (مدحت) بالانهماك في تنظيف أحد الموائد ، في زخمة الفندق الفاخر ، وهو يتخلص النظر إلى ذلك الكهل الوقور ، الذي أخذ يتحدث مع شخص ما هاتفياً ، في حين وقف رجل (كلوديا) إلى جواره هادئاً ، يرتشف بعض قطرات النبيذ الأحمر ، من كأس صغيرة ، يمسكها في راحته بترائح ، حتى انتهى الكهل من حديثه ، وأعاد سماعه الهاتف إلى موضعها ، ثم توقف لحظة ، وهو يعقد حاجبيه في حيرة . قبل أن يتجه عائداً إلى زخمة العرض ..

ول نفس اللحظة تحرك الرجل الممسك بكأس النبيذ ، على نحو بدا عفويًا ، فارتطم بالكهل ارتطاماً خفيفاً ، جعلت كأسه تنقلب بمحتوياتها على سترته ، فتراجع في جزع ، وحاول أن يفض النبيذ الأحمر عن سترته ، في حين أسرع الرجل الآخر لمعاونته ، ولمعه يلهج بالاعتذارات الحائرة ، ثم دعا الكهل لمصاحبه إلى دورة المياه ، لتنظيف بقعة النبيذ ، قبل أن تترك أنزوا واضحاً ..

وتحفظت حواس (مدحت) ، وهو يسرع خلفهما ..

كان قد لاحظ أن الرجل الآخر قد سكب كأسه ، على نحو أقرب إلى التعمد ، وبدا له أنه قد فهم اللعبة ، وأن ذلك الرجل في سبيله لاختطاف الكهل ، الذي يشغل منصباً رفيعاً في هيئة التصنيع الحربي ، ويحصل رتبة ولادة ، لذا فقد تحسّس (مدحت) مسدسه المختبئ أسفل سترة العمال المميزة بالفندق . واستعد لاستخدامه ، وإلقاء القبض على ذلك الرجل ، إذا ما حاول اختطاف الكهل ..

وتركهما يذهبان وحدهما إلى دورة المياه ، ووقف في الخارج ينتظر ، وهو مطمئن إلى أنه يقف أمام المدخل الوحيد للمكان ، واستعدت حواسه كلها للعمل ..

وفي الداخل لحق الكهل بالرجل ، وهو يقدم في هدوء : — لا عليك يا بنى .. يمكنكى أنا أن أزيل البقعة دون معارفتك .. إنها مشكلة بسيطة ، وأنت لم تكن تقصد أن .. وقجأة .. بر الكهل عبارته ، وهو يحدّق في ذهول ، فيما ظنه هذه صورته المنعكسة في المرآة ، قبل أن يبيّن أنه رجل يبدو نسخة طبق الأصل منه ، في هيئته ، وملامحه ، وزّيته .. فيما عدا بقعة النيد ، التي تلوّث سترته هو ..

وأدرك الكهل الموقف في سرعة ، وأراد أن يتراجع في حركة حاذئة ، ولكن قبضة الرجل المصاحب له هوت على مؤخرة عنقه بحركة عاجلة قتيّة ، فسقط فاقد الوعي ، دون أن ينس بينب شفة ..

وبسرعة وإتقان ، بذل الجاسوس سترته ، وارتدى سترة الكهل ، ثم ترك رفيقه يجذب الكهل إلى واحدة من دورات المياه الصغيرة ، ويغرز في ذراعه إبرة حقنة ، تحوى دواءً مخدّراً ، قبل أن يغلق الدورية الصغيرة خلفه . وابهتك هو في تنظيف بقعة النيد ، ثم اتسم في ظفّور ، وسار بجوار الرجل إلى خارج دورة المياه ، والرجل يواصل اعتدائاته ، كأنما يم حديثه مع الكهل ..

وتنهّد الثقيب (مدحت) في ارتياح ، حينما شاهدهما يخرجان ممّا ، وعاد يتبعهما إلى زخمة العرض ، حيث ذهب الجاسوس على الفور إلى منصدة الكهل ، وجلس إلى جوار زوجته يتابع العرض في هدوء ، في حين اتحنى الرجل الآخر جانبا ، ووقف يشاهد العرض بدوره في اهتمام ، ثم لم يلبث أن شارك المدعوّين تصفيقهم في حماس ، جعل (كلوديا) تكاد تقفز فرحاً ، وهي تنقل بصرها بين وبين آثار بقعة النيد



وأراد أن يتراجع في حركة حاذفة ، ولكن قبضة الرجل المصاحب له هوت
على مؤخرته غلقه بصرته عاجلة ..

الباهتة ، على سترة الجاسوس ، فقد كانت هذه هي المرة
الأولى ، التي يشارك فيها الرجل الحاضرين تصفيقهم .

وكانت هذه إشارة تغني أن العملية قد تمت بنجاح ..

أما الطبيب (مدحت) فقد ظلّ حتى نهاية العرض يراقب
الجميع في اهتمام وحذر . دون أن يدري أن أحد رجال
(كلوديا) الآخرين قد ادّعى أن السائح الكهل ، الذي يقم
بالفندق منذ يومين ، قد فقد وعيه في دورة المياه ، كما حدث
سابقاً ، وتعاون مع بعض عمّال الفندق ، لنقله إلى حجرته ،
حيث فحصه رجل ادّعى أنه طبيب الخاص ، وشكرت له إدارة
الفندق عدم إذاعة الخبر ، حرصاً على سمعة المكان ..

كل هذا و (كلوديا) تشعر بالفخر لنجاح العملية ،
والطبيب (مدحت) ما زال يتساءل :

— ماذا يمكن أن يحدث هذه الليلة بالثرى ؟

دون أن يدرك أن عملية (ملائكة الجحيم) الثانية قد تمت
بنجاح .. على أرض مصر ..

انتهت (منى) من تديل ملامحها ، وجلست تلقى النظرة
الأخيرة على وجهها في المرأة ، بعد أن تحوّل شعرها إلى لون

ذهبت جيل ، وتحولت عناها إلى لون فيروزي هادئ ،
وأضافت إلى شفتيها طلاء شفاف دافئ ، وأدهشها أن هذه
اللباس البسيطة قد بذلت ملاحظتها على نحو كبير ، فأجبت
وهي تلتفت إلى (أدهم) قائلة :

— ما رأيك ؟

اتسم ، وهو يقول :

— ليس متفنا للغاية ، ولكنه يكفي .

عقدت حاجبها في غضب ، وهي تقول :

— ليس متفنا ؟! .. ألا تعلم أن النساء هن أروع من

يستخدم أدوات المكياج ؟

قاطعتها فجأة صوت جاف يقول :

— إنه على حق يا صغيرتي .. تنكره هذا لن يمدح أحدا .

استدارت هي و (أدهم) في حركة حادة إلى مصدر

الصوت ، فطالعهما وجه (مارسيل بيكر) الوسم ، الذي

يجعل ملامح شديدة الصرامة ، وهو يقف على باب حجرتهما ،

ويطلع إليهما في كراهية وغضب واضح ، وقبل أن يتحرك

(أدهم) ، وعلى الرغم من سرعته التي تفوق المألوف ، برز

أربعة رجال من خلف (مارسيل) يصوبون إليهما مدافعهم

الرشاشة ، في حين اقتحم كل نافذة من نافذتي الحجرة
رجالان ، وأحاطت المدافع الرشاشة بـ (أدهم) و (منى) في
سرعة عجيبة ، في حين استمرت (مارسيل) في هدوء ، لم يخف
تيرة الغضب في صوته :

— ما رأيك يا ميسو (أدهم) ؟ .. هل أستحق لقب (ملك

العصابات) ؟



٨ - بين شقي الرّحى ..

وقف مفتش الشرطة الفرنسي (جان) ، يتطلع في أسفل إلى
مخويات شقة (سونيا) الفاحشة ، التي غطّمت ، وتبعثرت ،
وتماثرت على نحو عجيب ، ثم نقل بصره إلى عين (سونيا) اليسرى
المرزومة ، التي تحيط بها كدمة زرقاء منتفخة ، وهز رأسه في
أسف مرة أخرى ، قبل أن يقول ، وهو يتطلع إلى وجه (سونيا)
القائى في إشفاق

— إذن فهو حادث سطر ، مقترن باحتذاء بدلى .

أومات (سونيا) في ضعف واستكالة ، نجحت في تقمصهما
في براعة :

— نعم بإيادة المفتش ، لقد غفوت قليلاً قبل غروب
الشمس ، ثم استيقظت على صوت حركة مربية في ردهة المنزل ،
وحينها خرجت لتسأل الأمر ، رأيت لهاً يبحث عما يسرقه في
نهم ، فأطلقت صرخة مكتومة ، جعلته يلتفت إلى ، ويخدجني
بنظرات مخيفة ، لن تفارق مخيلتي أبداً ، ثم هاجمني فحاولت

الفرار ، وهو يطاردني في الرّوضة ، حتى ظفري ، فتوسلت
إليه أن يتركني ، ويأخذ ما جعلو له ، ولكنه لكمنى في عيني ،
وبادر بالفرار ، بعد أن سطا على مجوهراتي كلها .

كانت تتحدث على نحو يذيب القلوب شفقةً وعطفًا ، ثم
ختمت حديثها بدفن وجهها القائن بين كفيها ، وهي تهتف في
لهجة أقرب إلى اليكاء :

— لقد كان ذلك فظيماً يا سيادة المفتش .. فظيماً .

شعر المفتش (جان) نحوها بكثير من الشفقة والعطف ،
وتساءل في أعماق نفسه : كيف يمكن للصّ مهبما بلغت قسوته
أن يلكم لائحة مثلها ؟ .. ودفعته شفقتها إلى أن يسأله في لهجة
أقرب إلى الهنس :

— وهل يمكنك تذكر ملامحه ؟

كان هذا هو السؤال الذي تنظره (سونيا) ، فهتفت في
لهفة :

— إنني أحفظها عن ظهر قلب ..

شعر بالآرياح لإجابتها ، فابتسم في عطف ، وهو يقول :
— هذا عظيم .. سنحضر واحداً من رسامي البحث
الجائى ، وسيكون عليك أن تصفى له هذا اللص ، وسيرسم
أقرب صورة ممكنة له .

قاومت (سونيا) في قوة ، رغبها في رسم ابتسامة ظافرة
 على شفتيها ، فقد كان هذا ما تسعى إليه منذ البداية ..
 لقد جعلت رجل (مارسيل) يحطمان أثاث زخرفة منزلها ،
 ويعثرانه ، ثم تحملت أن يلكمها أحدهما في عيناها ، حتى تصل
 إلى هذا الهدف بالذات ..
 إنها تحفظ ملامح (أدهم) عن ظهر قلب ، وغيرها السابقة
 في (الموساد) ستجعل من السهل عليها أن تقود رسام البحث
 الخنافي إلى رسم صورة طبق الأصل من غريمها اللدود ، حتى
 يتطلق كل رجال الشرطة خلفه ، ولكن عليها أيضا أن تجعل
 مهمتهم أكثر سهولة ؛ لذا فقد تظاهرت بأنها قد تذكرت
 شيئا ما ، فأسرعت تهتف :

— هذا اللص ليس فرنسيًا .

تطلع إليها المفتش في دهشة ، وهو يقول :

— كيف أمكنت الحزم يا سيدتي ؟

قالت في تأكيد :

— لقد نطق بعبارة ما ، قبل أن يلكنني ، وأظن أنه
 مصري .. فلقد قصمت بعض الأشهر هناك ، ويمكنني تمييز
 لهجتهم في سهولة .

عقد المفتش حاجبيه ، وداعب ذقنه ، وهو يفهم :

— مصري ؟ . هذا يجعل المهمة أكثر سهولة ..

ثم استطرد في حزم :
 — أعذك أنه لن يمضي يوم واحد ، ويكون قد سقط في
 أيدينا يا سيدتي .
 ابتسمت (سونيا) في ارتياح حقيقي ، فقد أحكمت
 خدعتها ، وأوقعت (أدهم) بين شفتي الرخى .. والآن
 سيكون عليه أن يقاتل الجميع .. الشرطة الفرنسية ، ورجال
 (مارسيل) ملك العصابات ..

كان ظهور (مارسيل) ورجاله مفاجأة حقيقية لـ (أدهم)
 و (منى) ، حتى أن (منى) ظلت تحذق في وجوههم في ذهول ،
 في حين ابتسم (أدهم) في سخرية ، وصفق بكفيه ، وهو يقول
 متبسمًا :

— مسرحية رائعة يا ملك الأوغاد ، لقد تفوقت في أدائها
 على (سارة برنارد) نفسها^(*) .

(*) سارة برنارد (١٨٤٥ — ١٩٢٣) : ممثلة فرنسية شهيرة .
 اسمها الحقيقي (روزين برنار) ، تعد من أعظم الممثلات اللاتي ظهرن
 على حلبة المسرح ، بلغت أوج شهرتها على مسرح (الكوميدى
 فرانسيز) (١٨٧٢ — ١٨٨٠) ، استأجرت مسرحًا في (باريس) .
 وأطلقت عليه اسمها . من أشهر مسرحياتها (ليدرا) ، (هرنان) ،
 (ليجون) ، فظهرت في فيلمين من أفلام السينما الصامتة (١٩١٢) .

وهتفت (منى) في دهشة :

— كيف توصلت إلينا ؟

كان (أدهم) يدعوا له (سبحانه وتعالى) ألا تنطق (منى) هذا السؤال بالذات ، فهو يكره أن ينجح أعداءه شعورًا بالغفوق والظفر ، مهما بلغت براعة أساليبهم . ووسألهم : ألا أنه — وبعد أن ألفت (منى) سؤالها — ظل هادئًا ، ينسم في سحرية ، على الرغم من تلك الالبصامة المزهوة الظافرة ، التي ارتسمت على شفتي (مارسيل) ، وهو يلوح بكفه ، ذات الفغاز الجلدني الأسود الأنيق ، قائلاً في هدوء :

— لم يكن ذلك هينًا يا صغيري ، ولكنني أردت أن ألقنكما درسًا ، حتى تنظا في خطاتكما الأخيرة أنى استحق عن جدارة لقب (ملك العصابات) .

كان يتحدث في غرور آثار حتى (أدهم) ، وكان يبدو شديد التألق ، في حُلته السوداء الأنيقة ، وشعره المصطف في عناية بالغة ، وذلك البشاش الأبيض الناصع ، الذي ألقاه على كفيه ، وتركه يسدل على باقي مشرته ، ورباط العنق الصغير الأسود .. وجال بخاطر (أدهم) لحظة أن يتجاهل كل هذه المدافع الرشاشة ، المصوبة إلى جسده ، ويقفر ليصنع هذا

المغرور على مؤخرة عنقه ، إلا أن دواعي الحكمة كانت تقتضي منه أن يلزم الصمت والسكران ، ويحفظ بائتمامه الساخرة على شفتيه ، انتظارًا للحظة المناسبة للهجوم . وكان هذا يضطره للاستماع إلى (مارسيل) ، وهو يستطرد في قبحه

— حينما أخبرتنى عزيزتنا (برجيت) أنك أسرع أهل الأرض في التكبر — على حد قولها — يا صغيري (أدهم) ، وأنت تحصل في تقفلاتك حقية أدوات تكبرك الخاصة .. تذكرت أنك ، وحتى آخر مواجهة بينك وبين رجالي ، لم تكن تحمل أية حقائب ، وكان هذا يعني أنك إما قد تركت حقية التكبر الخاصة بك في حجرة فندقك .. الذي لم تعد إليه ، أو تخفيها في مكان آخر لا لندري عنه شيئًا .. وهنا طلبت من رجالي تفتيش حجرتك بالفندق ، ولقد عثروا على حقية أدوات التكبر ، مما يعني أنك مستحتاج بالضرورة إلى أدوات تكبر أخرى ، ما دمت قد علمت من (سينيوريه) أنها تسمى خلقتك ..

تألفت عيناه في غرور واضح ، وارتست على شفتيه ابتسامة ساخرة ، وهو يردف في حيلاء واضحة :

— وهنا طلبت من رجالي الشرع لمراقبة كل المتاجر ، التي

تبيع أدوات تصلح للتكرار... هل تعلم كم يبلغ عدد هذه المتاجر
يا مسيو (أدهم) ؟ إنه رقم رهيب ، يكفى لتعلم كم من
الرجال يأثمرون بأوامري في (باريس) وحدها .
أطلق ضحكة قصيرة بعد هذه العبارة ، ثم عاد يواصل
قائلًا :

— ولقد راقب رجالي كل متجر في (باريس) ، وعلى
الرغم من براعة زميلكم ، الذى ابتاع ما طلبناه منه ، من عدة
متاجر مختلفة ، إلا أن وقته لم يكن يسمح له إلا بشراء كل هذه
الأشياء من حتى واحد على الأقل... ولقد كان مجموع ما ابتاعه
كثيرًا ، مما أثار رغبة رجالي ، فبعوه في طريق عودته إلى هنا .
وقادنى براعتهم إليكما .
غفتم (أدهم) في سخرية :

— هل تستمع إلى هذه المحاضرة طويلة ؟ يؤسفنى أننى
أصاب بالملل بسرعة ، ولو أن المحاضرة تستغرق وقتًا أطول
فسأضطر للانصراف .

ابسم (مارسيل) ، وهو يقول :

— روح ذعابة رائعة يا مسيو (أدهم) ، يؤسفنى أن أضطر
لقتل رجل مرح مثلك .

أجابته (أدهم) متهمًا :

— لا تأسف كثيرًا يا ملك الأوغاد... إن هذا لم يحدث
بعد .

مط (مارسيل) شففيه ، وهز كتفيه ، وهو يقول :
— هذا صحيح ، ولكنه سيحدث للأسف يا مسيو
(أدهم) :

خدجته (أدهم) بنظرة متحذية ، وهو يتسم لى
استخفاف ، ولكن شهقة ألم من (منى) جعلته يلتفت إلى
الخلف في سرعة ، ورأها تموى هاقدرة الوعى ، إثر صريرة من
كعب مدفع أحد رجال (مارسيل) ، على مؤخرة رأسها ،
فصاح في غضب :
— أيها الأوغاد

ودون أن يأتى بالمدافع الرشاشة المصوبة إلى جسده ، لكن
الرجل على أنفه في قوة ، ثم أصاب معدنه بقنبلة ، وهو يقول في
غضب :

— هذا من أجل (منى) .

ومال جانبًا متطافًا لكمة رجل آخر ، ودار على غيبته
ليلكمه في فكته لكمة ساحقة ، تكسرت لها أسنان الرجل في

صوت مسموع ، ثم اعتدل لمواجهة الرجال الستة الباقين في
جسارة ، إلا أنه سمع صوت (مارسيل) يتف في هدوء :
— أطلقوا النار على القضاة ، لو أنه لم يتسلم على الفور .
تسمرت عضلات (أدهم) ، وتقل بصره بين المدافع
الرشاشة الستة ، التي صوّتت إلى (منى) ، ثم اعتدل ، وهو
يقول في خنق :

— حسناً أنها الرعد ، هاأنذا .

اتسم (مارسيل) في ظفر ، وأشعل واحدة من سجائره في
هدوء ، ثم قال :

— هذا طريف .. تماماً كما وصفتك (برجيت) يا مسيو
(أدهم) .. شجاع ، قوي ، جريء .. وشهم .. وهذه
الصفة الأخيرة هي نقطة ضعفك يا مسيو (أدهم) .
اتسم (أدهم) في سخرية ، وهو يقول :

— نحن — العرب — نصيرها نقطة قوة يا ملك الأوغاد .
هزّ (مارسيل) كتفيه ، وهو يقول :

— لك الحق في رأي خاص يا مسيو (أدهم) .
وهنا ارتفع صوت هادئ حازم ، يقول :
— وأنت أيضاً يا مسيو (مارسيل) .

تصلبت عضلات رجال (مارسيل) ، ودارت قوّهات
مدافعهم الرشاشة نحو مصدر الصوت ، في حركة غريزية ،
وشعر (أدهم) بارتياح بالغ ، وهو يتطلّع إلى صاحب
العبارة ..

لقد كان الرائد (وليد) ، وقد عاد — لحسن الحظ — قبل
موعده بنصف ساعة كاملة ، وكان يقف عند باب الحجرة ،
يصوّب مسدسه إلى الجميع بلا تمييز ..

ولكن (مارسيل بيكر) أثبت في هذه اللحظة أنه يمتلك
سرعة استجابة فائقة أيضاً ، فلقد كان صوته أوّل ما ارتفع في
الحجرة ، بعد عبارة (وليد) ، وهو يهتف أمراً رجاله :

— أطلقوا النار على الجميع .
ولمحت أبواب الحجرة



٩ - الحِيط الرَّائِف ..

استمع مدير المخابرات المصرية إلى النقيب (مدحت) في اهتمام . حتى انتهى من شرح كل ما حدث في أثناء عرض الأزياء ، الذي أقامته (كلوديا) ، ثم نهض من مكبه ، وتحرك في حجرته عاكفا كفتيه خلف ظهره ، وزاوبا ما بين حاجبيه مفكرا في عمل . قبل أن يلتفت إلى (مدحت) ، ويسأله في اهتمام :

— آنت واثق من أن الرجل قد سكب كأسه عمدا على سرة اللواء ؟

أوما النقيب (مدحت) برأسه إيجابيا ، وهو يقول في ثقة :
— لن تعدنى محاولته للتظاهر بأن الأمر جاء عفويا ياسيدى ، فهو قه من البداية كان مثيرا للشك . فالعتاد حينما يتلقى أحد نزلاء الفندق ، أو ضيوفه ، مكالمات هاتفية داخلية ، أن يغير أحد العاملين بالفندق الصوف . وهو يحمل لائحة كتب عليها اسم الشخص المطلوب .. ولكن ذلك الرجل تقدم من

سيادة اللواء مباشرة ، وكأنما يعرفه من قبل . وأخبره بالأمر ههنا ، ثم انظره جانب افاتف على نحو مثير للرؤية ، وتحرك في اللحظة المناسبة بالذات ، ليرتطم به ، ويسكب محتويات كأسه على سترته .

عاد مدير المخابرات يعقد حاجبيه مفكرا ، قبل أن يسأله مرة أخرى :

— كم غايا داخل دورة المياه ؟

أجابته (مدحت) :

— حوالى ربع الساعة لاغير ..

جاء صوت مدير المخابرات هذه المرة يحمل ثبرة حانقة . وهو يقول :

— ولم لم تتبعهما إلى الداعل ؟

ارتبك (مدحت) ، وهو يقول :

— كان هذا مستحيلا ياسيدى ، فقد كنت أرتدى زى العاملين بالفندق ، وغير مسموح للعاملين بدخول دورات المياه الخاصة بالزوّاد .

زهر مدير المخابرات ، وهو يقول :

— أعلم يا ولدى .. أعلم ..

وعاد يجلس خلف مكتبه ، وينظر على سطحه بأصابعه في
توكر ، وهو يسأله :

— وماذا فعل سيادة اللواء ، بعد مغادرتك العرض ؟

هز (مدحت) كتفيه ، وهو يقول :

— لا شيء .. عاد إلى منزله مع زوجته ..

مال المدير إلى الأمام ، وهو يقول :

— وماذا فعلت (كلوديا) ؟

بدا الاهتمام على وجه (مدحت) ، وهو يقول :

— لقد بدت شديدة الفرح والسعادة ، بعد انتهاء

العرض ، وأسرعت ترسل برفقة إلى (برجيت فرانسوا) في

(مارس) ، تقول فيها : « انتهى العرض بنجاح .. أصل

صباح الغد » ، ثم صعدت إلى حجرتها .

سمعهم مدير المخابرات في توكر :

— حادث غامض ، وبرقية إلى (سونيا جراحام) ،

فليقطع ذراعي إن لم يكن هناك أمر جليل قد حدث ، تحت

ألفها .

ثم استورد في جلة .

— وهل ستعود (كلوديا) إلى (مارس) صباح الغد ؟

بدا الضيق على وجه (مدحت) ، وهو يقول :

— نعم ياسيدي .. ولو أننا لم نعلم على ما يدبرها حتى

السابعة من صباح الغد ، لن يمكننا احجازها هنا

بعض المدير من خلف مكتبه مرة أخرى ، ووقف أمام نافذة

حجرته ، يتطلع إلى الجو المظلم خارجها ، وطال وقوفه وهو

يفكر في عمق ، ثم التفت إلى (مدحت) ، وقال في لهجة

تشق عن خطورة الأمر :

— إن الخيوط جميعها تقود إلى غيظ واحد ، أغشى

التصرع به منذ البداية يا (مدحت) ..

سأله (مدحت) في قلق :

— ما هو ياسيدي ؟

تنهد مدير المخابرات في عمق ، قبل أن يقول في لهجة تحمل

كل الأسف والضيق :

— إن سيادة اللواء جاسوس ، يعمل لحساب (ملائكة

الجحيم) ..

لم يكذب (مارسيل) يلقي أمر إطلاق النار ، حتى بدا وكأن

نيران الجحيم قد اشتعلت فجأة ، فقد كان (وليد) هو أول من

أطلق النار ، فأصاب أحد رجال (مارسيل) في رأسه ، في حين تحرك (أدهم) في سرعة البرق ، فركل أحد المدافع الرشاشة ، وحطم لك صاحبه بلكمة ساحقة ، ثم غاص إلى أسفل ، والنش ليغوص بقبضته في معدة آخر ، ويهوى بأخرى على أنف ثالث ، ويركل بقدمه ساق رابع ..

وانطلقت رصاصات الحامس نحو (وليد) ، ورأى (أدهم) صديقه يسقط أمام الرصاصات ، و (مارسيل) يغدر نحو النافذة ، ويقفز غيرة في حفة ومهارة ورشاقة ، دون أن تفارق ابتسامته شفوية ، فاستدار (أدهم) إلى الرجل الذي أطلق الرصاص على (وليد) ، وهشم أنفه وفكه بلكمتين متعاقبتين كالبرق ، فوبتين كالقنابل ، ثم القص على من بقي من رجال (مارسيل) ، وترك لقبضته البنان في وجوههم ، حتى تحدث أصواتهم تماماً ، فأصرع نحو (وليد) ، والحنى يفحص جراحه ، فقابلته ابتسامته الشاحية ، وهو يقول :

— اطمئن يا سيادة المقدم .. إنها إصابة قابلة للعلاج .. إن ذلك الوغد لم ينجح في قتل .. أسرع خلف (مارسيل) .
قال (أدهم) في هدوء :

— سأطلب سيارة إسعاف أولاً .



فأسرع نحو (وليد) ، والحنى يفحص جراحه ، فقابلته ابتسامته الشاحية ، وهو يقول : اطمئن يا سيادة المقدم .

لوح (وليد) بكفه رافضاً ، وهو يقول :

— أسرع أنت خلف (مارسيل) ياسيدى ، واترك لى
مسلمى ، وسأقوم أنا بما ينبغي ، فمما زلت قادراً على
الوقوف ، والتحدث هاتفيًا .. لا تترك أنت هذا الوغد بافك
عليك .

كان (أدهم) يريد أن يقى ، حتى يطمئن على زميله ،
وزميلته القافدة الوعى ، ولكنه كان رجل مخبرات مصرياً من
الطراز الأول .

رجل مخبرات يعلم أن الواجب يأتى دائماً فى المرتبة
الأولى ، مهما كان الثمن ، ومهما كانت التضحيات ..
وربّت (أدهم) على كسفى زميله ، وألقى نظرة مفعمة
بالحنان على زميلته ، ثم انطلق خلف (مارسيل) ..

كان (أدهم) يتوقع بالضرورة أن (مارسيل يكر) قد
فرغ إلى وكرة ، بعد أن تخلى عن رجاله ، وبادر بالفراغ ، لذا
فقد أسرع هو إلى حيث تقف سيارة (وليد) ، وفقر داخلها ،
وهو يعتزم الانطلاق إلى وكرة (مارسيل) ، ولكنه لم يكذب يدبر
محركها حتى أصاب المكان فجأة برجال الشرطة الفرنسيين ،

الذين صوبوا أسلحتهم إليه ، كما لو كانوا ينتظرونه ، وشق
المفتش (جان) طريقه بينهم ، واقرب من سيارة (أدهم) ،
الذى قال لى سخرية :

— هل صدر مساء اليوم قانون يمنع القيادة ليلاً أياً
المفتش ؟

تجاهل المفتش (جان) لهجة الساخرة ، وانحنى يتأمل
ملاحه لى إمعان ، على ضوء مصباحه اليدوى ، ثم لم يلبث أن
انضم لى ارتياح ، وهو يقول :

— مصرى .. أليس كذلك ؟

أثار السؤال دهشة (أدهم) ، وتساءل فى رتبة : كيف
علم المفتش أنه مصرى ؟ . ولكنه احتفظ بإتسامته الساخرة ،
وهو يقول :

— بللى .. هل أعلنت (فرنسا) الحرب على مصر ،
وصدرت الأوامر بإلقاء القبض على كل المصريين لى
(باريس) ؟

مرة أخرى تجاهل المفتش لهجة الساخرة ، وهو يتشم
قاتلاً لى هدوء :

— أراهن أنك لا تحمل رخصة هذه السيارة .

وفجأة .. وقبل أن يتفرقه (أدهم) بكلمة ، أبرز المفتش
سلسه ، وشهرة في وجهه . وكأنما كانت هذه الحركة إشارة
لبنائ رجال الشرطة ، فقد تقدموا جميعاً نحو السيارة ، من كل
الاتجاهات ، وهم يصوبون أسلحتهم إلى (أدهم) ، الذى قال
في جملته :

— لو أنها ذغابة ، فهى أسخف ذغابة واجهتها في حياتي
أيها المفتش ، ولو أنها عملية إلقاء قبض بتهمة قانونية ، فأحب
أن أذكرك أنني مواطن مصرى و
قاطعه المفتش في هدوء :

— إننى ألقى القبض عليك بتهمة السطو .

عقد (أدهم) حاجبيه ، وهو يقول في صرامة :

— اسمع أيها المفتش .. صحيح أنني لآأجل رخصة هذه
السيارة ، ولكننى آجل رخصة قيادة دولية .. وهذه السيارة
ملك زميل لى ، وهو رجل أعمال مصرى ، يقيم هنا في
(باريس) ، وهو يقطن هذه البناية و
عاد المفتش يقاطعه بنفس الهدوء :

— إننى لم ألهمك بسرقة السيارة ، ولكننى ألهمك بمحادث
سطو آخر ، وأطلب منك أن تصحبنى إلى نقطة الشرطة ، أو
يجبرك رجالى على هذا .

كان آخر ما يحدث عنه (أدهم مصرى) هذه المرة ، هو
مزيد من المتاعب ، فقد كان يعلم أنه لو اكتسب غذاء الشرطة
أيضاً ، فسيحول إلى رجل تسمى (فرنسا) كلها خلفه ، لذا
فقد استسلم لرجال الشرطة ، وتركهم يكتلون معصيه
بالأغلال ، ويقودونه إلى سيارتهم ، وهو يظن الأمر كله مجرد
خطأ ، لن تلبث أن تكشف عنه الأحداث ، ثم يعود بعد ذلك
لمطاردة (مارسيل يكر) ، دون أن يخطر بباله لحظة ، أن هذا
الأخير كان يراقب الموقف ، من ناحية قريبة ، وقد ارتسمت
على شفتيه ابتسامة ظفر ساعرة ..

* * *

جلس (أدهم) مكبل المغمضين بالأغلال ، في تلك
الحجرة الصغيرة ، ذات الجدران البيضاء ، التى تركه فيها
رجال الشرطة ، داخل مركزهم الرئيسى في (باريس) ،
يسترجع كل ما مر به من أحداث ، منذ قدمه مع (منى) إلى
(باريس) ، وأحس أنه الأمور كانت تسير في هذه العملية
بالذات — على نحو متخبط عجيب ، وكأنما يتدخل القدر في
كل خطوة لمعاندته ، وإضافة المزيد من المتاعب والعقبات في
طريقه .. فقد حضر خصيصاً لتعقب (ملائكة الجحيم) ،
ومحاولة تخطيم منظمتهم الوليدة ، قبل أن تقوى ويشند غودها .

فإذا به يضطر لمقاتلة (سرجى كورنوف) . وكل رجل
خصايات في (فرنسا) ، وأخيراً رجال الشرطة
وحاميه شعور بأنه كان متخاذلاً هذه المرة . وأنه لم يؤد
عمله كما ينبغي . ثم لم يلبث هذا الشعور أن فارقه . حينئذ
أنه قد فعل حتى الآن كل ما يفعله في أية عملية أخرى . ولكن
هذه العملية بالذات كانت أكثر نشاطاً وتعقيداً .

وبما كان مستغرقاً في أفكاره . دخل إلى حجرته المفتش
(جان) ، بصحبه رجل هادئ الملامح ، ممثلي الجسم . يحمل
حقية صغيرة . فقال (أحدهم) في برود :

— إنني أنتظر مكالمة هامة بعد ساعة واحدة . وقد أفتد
صفقة بعشرة ملايين فرنك . لو لم ألقاها في الوقت المناسب ،
وسأحملكم مسئولية ذلك .

اتسم المفتش (جان) في هدوء . وهو يقول :

— يمكنك طلب تحويلها إلى هنا لكل سرور .

في حين وضع الرجل المصاحب له حقية الصغيرة . فوق
المنضدة الوحيدة في ركن الحجرة . وأخرج منها زجاجة نحوى
سائلاً شفافاً . بلل منه قطعة قطن صغيرة في حرص ، وضاعها
من شعر (أحدهم) . ومررها على لحصلة منه في عناية ، ثم
التفت إلى المفتش (جان) ، يقول في هدوء :

— لقد كنت على حق . إن شعرة مصوغ .

عقد (أحدهم) حاجيه ، وهو يقول :

— هل يمنع القانون صيغ الشعر ؟ . أليست هذه حرية
شخصية ؟

جلس المفتش (جان) أمامه ، وتطلع إلى عينيه في إمعان ،
وهو يقول :

— هذا صحيح . إنها حرية شخصية . لهذا فقد
اضطرت لاستصدار أمر من النائب العام ، لإزالة صيغة
شعرك . ونزع هذه العدسات الزرقاء من فوق عينيك . حتى
يمكننا تقديمك في عرض عام . أمام السيدة التي ألهمتك
بالسطر على مترها والاعتداء عليها بالضرب .

أدرك (أحدهم) على الفور طبيعة القبح الذي أعده له .
وشعر بالفضب . لأنه لم يبادر بالفرار من رجال الشرطة منذ
البداية . ولكن هذا لم ينعه من أن يسأل المفتش في هدوء :

— هل لي أن أعرف اسم السيدة على الأقل ؟

أجابه المفتش (جان) في هدوء :

— بالطبع . إنها تدعى مدموازيل (فرانسوا)

(برجيت فرانسوا) .

١٠ - الشك ..

استمع وزير الدفاع المصري إلى مدير المخابرات العامة في صبر وهذوء ، حتى انتهى من شرح ما لديه ، ثم مال نحوه ، يسأله بنفس الهدوء :

— هل تعلم كم من أبناء مصر يتخرجون من الكليات العسكرية ، في كل عام ؟

أجاب مدير المخابرات في هدوء مائل :

— كثيرون .

أوماً وزير الدفاع برأسه ، قيل أنه يعود فيسأله :

— وكَم منهم يصل إلى رتبة اللواء ؟

تهَّد مدير المخابرات ، قبل أن يجيب :

— أقل من العشرة .

عاد وزير الدفاع يستد بطهره إلى مقعده ، وهو يشبك أصابع كفيه أمام وجهه ، قائلاً :

— هل تعلم ما الذي يعني ذلك ؟ ، إنه يعني بساطة أن

الوصول إلى رتبة اللواء يحتاج إلى إجراء تحريات واسعة حول الشخص المرشح لهذه الرتبة ، وأنه ينبغي أن يكون محل ثقة لا تقبل الشك ، وكفاءة نادرة في مجال عمله .. ولم يحدث في تاريخ مصر كلها ، بل في تاريخ العالم أجمع ، أن ألهم شخص يحمل هذه الرتبة بالنجس .. ثم إننا نؤلى عناية خاصة للتحري عن العاملين في قطاع التصنيع الحربي ، نظرًا لما يحويه من أسرار صناعية عسكرية خطيرة .. ولقد خضع اللواء (حسن القدور) ، الذي تهمته بهذه التهمة البشعة ، لتحريات واسعة مكثفة ، قبل أن يتبوأ منصبه في هيئة التصنيع الحربي ، وهذا يعني أنه ليس موضعاً لأدنى شك .

تصالح مدير المخابرات ، وقال وهو يعلم مدى دقة وصعوبة موقفه :

— إننا لم نتهمه بعد بإساءة الوزير ، ولكنني أقول إن ما حدث في الحفل يجعله موضع شك ، ولنا نطلب سوى الإذن بحرقته سرًا .

عقد وزير الدفاع حاجبيه مفكرًا ومستاءً ، ثم لم يلبث أن قال :

— ولكن هذا الأمر يخص المخابرات الحربية ، لا العامة .



برقت عينا (سوليا جراحام) في مزيج من الظفر والشراسة ، وهي تهتف :
— إذن فقد سقط (أدهم صبرى) في قبضة الشرطة

قال مدير المخابرات :
— لا تهارق يا سيدي ... المهم أن يوضع تحت المراقبة لفترة
ما ، فكلنا نعمل لصالح مصر وحدها .
عاد وزير الدفاع إلى تفكيره ملياً ، ثم قال في لهجة رجل
حسم أمراً يستحق الحسم :
— فليكن ... إنها عملياتكم منذ البداية ، ولن تنتزعها
مكم المخابرات الحربية الآن ... سأمنحكم الإذن بمراقبته ،
ولكنكم ستدينون بالاعتذار للرجل ، لو لست أنكم كنتم على
خطأ :
تهتد مدير المخابرات في ارتياح ، وهو يقول في سرعة :
— سنفعل بإسادة الوزير ... لئى أنا سنفعل .

برقت عينا (سوليا جراحام) في مزيج من الظفر
والشراسة ، وهي تهتف :
— إذن فقد سقط (أدهم صبرى) في قبضة الشرطة .
رائع ... لقد نجحت لحظنا يا (مارسيل) .
انضم (مارسيل بيكر) في زهو ، وهو يقول :
— (مارسيل بيكر) يتجح دائماً يا عزيزي
(برجيت) ، ووميلنى المفضلة هى أن أجعل الخصم يتصور

بفسه دائماً في موقف الفائر . حتى تمكنني احتدابه — دون أن يشعر — إلى الفخ الذي أعد له .

عاد القلق يتأب (سونيا) . وهي تقول :

— ولكن ماذا لو أنه نجح في الفرار ؟

ثم أسرعته تستدرك قبل أن يعترض (مارسيل) :

— لقد رأيت بنفسك كم هو شيطان

ابنهم (مارسيل) ، ولوح بكفه في حركة أنيقة . وهو

يقول :

— اطمئني يا عزيزتي (برجيت) .. إن سرّنا حاسي في

تزعّم كل رجل عصابات في (فرنسا) ، هو أنني لا أعمل

تفصيلاً واحداً ، ولا أتأكد شيئاً للظروف .. هل رأيت كيف

جعلت (آدم صيري) هذا يطاردني ، دون أن يتصور أن

هروني نفسه لحظة مدروسة ، كنت أضيقها في بند الخطوط

الاحتياطية ، في حالة لجأته من مصاصات رجالي ؟ .. لقد أبلغ

(مجهول) الشرطة بأنه هناك ، وبأنه متكرر .. لقد حسب

حساب كل شيء يا عزيزتي .

سألته في فضول واهتمام :

— وماذا أعددت لمنع من الفرار ؟

ضحك في ثقة ، قبل أن يقول :

— إنهم في كل أقسام الشرطة في (فرنسا) يقدمون القهوة

صباحاً ومساءً للمقبوض عليهم ، وكذلك في السجون .. ولقد

تناول صديقك (آدم) قوح القهوة الخاص به منذ لحظات ،

دون أن يدري أنه يحوي مخدراً من نوع خاص ، يجعل أفعاله

ورود أفعاله بطيئة ، تستحق الشفقة ، حتى أنه لن ينجح في

لكم رجل واحد ، أو حتى إعداد لحظة مُحكمة للفرار

سألته في خفي :

— ولماذا لم تأمر بدس السم له مباشرة ، حتى تنتهي منه

بسرعة ؟

أطلق ضحكة ساخرة ، جعلته أشبه بوحش مفترس ، قبل

أن يغمغم في تلذذ :

— لعبة القط والفار يا عزيزتي (برجيت) .. إنني أعشق

هذه اللعبة .. هل تعلمين ماذا يفعل القط ، حيناً يقتصر

فأزاً ؟ .. إنه يقبض حيناً لأطول فترة ممكنة ، فيمنحه أكثر من

فرصة للفرار ، ثم يقبض عليه في اللحظة الأخيرة ، ويعيده إلى

قبضته ، ويواصل ذلك حتى يصبه الملل فيقتربه .

قالت في حدة :

— ومتى تنوي أن تصاب بالملل ؟

هز كتفيه ، وهو يقول في لامبالاة :

— هذا يتوقف على براعة صديقك في اللعبة يا عزيزتي .

قالت في عصيئة :

— حسنا . وماذا تنوي أن تفعل حينما تمل اللعبة ؟

انضم في سحرية ، وهو يقول :

— مستهين أنت صباح غد ، لتعرفه في عرض عام ، وعندئذ سيُدان في حادث السطو ، والإجراء الطبيعي في هذه الحالة هو أن يذهب إلى السجن ، في انتظار محاكمته . وهناك ستُركب جريمة قتل ، وستُتهم فيها شيطانك المصري ، الذي سبواظرب رجالي على دس الخلد في السجن ، وسيُدان في جريمة القتل أيضا بشهادة الشهود . من المساجين وخُراس السجن .

سأله في شغف :

— وماذا يحدث عندئذ ؟

تطلع إليها بعينين ساخرتين ، وهو يقول :

— ألا تعلمين القوانين الفرنسية يا عزيزتي (برجيت) :

إن النهاية الحتمية لرجل مُدان بالقتل العمد هنا هي

ومرر سبائته على عنقه . قيل أن يردف في بلد :

— المقصلة (*)

(*) المقصلة آلة إعدام فرنسية . شاع استخدامها إبان الثورة الفرنسية ، بحمد على وضع رقة المحكوم عليه في ثوبين خاصين ، حيث يبط لفصل حاد لفرقا . وما زالت تستخدم لتطبيق أحكام الإعدام في فرنسا ، حتى الوقت الحالي .

شعر (أدهم) بالخيرة والارتباك ، لأول مرة في حياته ، وهم يقودونه إلى قاعة العرض العام ، مع خمسة رجال آخرين ، فقد وجد نفسه ، لأول مرة أيضا ، عاجزا عن ترتيب أفكاره ، أو تسقيها ، كما لو أنه يُعاني من إرهاق عيف .

صحيح أنه لم يذُق طعام اليوم منذ أكثر من يومين ونصف ، ولكنها ليست أول مرة يفعل فيها ذلك ، فما باله يشعر وكأن العمر قد تقدّم به عشرات الأعوام ، فصار عجوزا منكها ، ينقل قدميه ويحرك ذراعيه في صعوبة !!

لقد جعله هذا يبدو خائفا مستسلما ، بخلاف عادته ، وهو يقف وسط طابور العرض ، على عكس (سونيا) ، التي تألفت عيناها في شحانة ، وهي تتطلع إليه من خلف حاجز زجاجي مزدوج ، سمح لها برؤية طابور العرض ، دون أن يراها أحد الواقفين فيه ، ولقد بدت شديدة الحماس والانفعال ، وهي تشير إليه قائلة دون تردد :

— ها هو ذا .

سألتا المفتش (جان) في اهتمام :

— أنت وثقة يا سيدتي ؟

أجابته في حماس :

— تمام الفتنة —

تأمل جمالها الفنان لحظة ، ثم قال في هدوء :

— كنت واثقا من أنه الرجل المشهود ، فلم يكن هناك
مبرر آخر لصبغة شعره ، وإضافة عدسات ملونة إلى عينيه .
كانت (سونيا) تعلم الجواب ، إلا أنها سألتني في لهجة
استكينة :

— ماذا ستفعلون به ؟

هز كتفيه ، وهو يقول :

— سيذهب إلى السجن ، حتى جلسة محاكمته .

سألتني في اهتمام حقيقي :

— متى ؟

هز كتفيه ، وهو يقول :

— بعد شهر تقريبا .

ابصت في ارتياح ، فشهر يكفى ليصاب (مارسيل)

الملل من لعبة القط والفأر هذه ، وعندئذ تأتي النهاية ..

لم يغد أمام (أدم صيرى) سوى شهر واحد ..

شهر يُمنحني بعده اسم (رجل المستحيل) ..

١٠٤

١١ — لعبة القط والفأر ..

كانت (منى) شديدة العصبية ، وهي تعاون الملحق الطنى
للسفارة المصرية في (باريس) ، في تغير الضمادات التي تحيط
بكتف النقيب (وليد) . بعد أن انتزع منه الملحق الطنى
الرصاصات ، التي أصابه بها رجال (مارسيل) ، ولاحظ (وليد)
عصبيتها وقلقها ، فاتسم ليعث في قلبها بعض الطمأنينة ، وهو
يقول :

— اطمئني أيتها الزميلة .. يعود سيادة المقدم ظافرا

بإذن الله .

تنهدت وهي تقول :

— ولكن أين هو ؟ لقد اعتضى تماما منذ غادر شقتك

الأخرى مساء أمس ، متغصنا ذلك الوبعد (مارسيل) .

رأت الملحق الطنى على كتفها في حنان ، وهو يقول :

— ربما لا يعلم عنوان هذا المنزل الاحياطى يا بنيتى ،

فلانسنى أنكما اضطررتما ، أنت و(وليد) ، إلى ترك الشقة

الأخرى . بعد أن حدث فيها ما حدث .

هفت في هجة شفت عن كل ما يحتمل في أعماقها من
للق :

— مُحال يا سيدي .. إن (أدهم) يحفظ عن ظهر قلب ،
كل العاوين الخاصة بنا ، في جميع أنحاء العالم ، ولو أنه انتهى من
مهمته بنجاح ، لكان بيننا الآن .

تبادل (وليد) والملحق الطبي نظرة ، تؤكد أن قلقها قد
انتقل إليهما ، قبل أن يفهم (وليد) :

— لقد انطلق كل رجالنا يتلششون أخباره يا (منى) ، ولن
يلت أحدهم أن يعود حاملاً ما يطمئنا بإذن الله .

تعمقت في هجة قلقة :

— إنني أحكم بذلك

ثم انجهمت إلى النافذة ، وتطلعت منها إلى (باريس) ، قبل أن
تردف في ألم ومرارة :

— قلبي يخدشني أنه يواجه خطراً بالغا في هذه المدينة ، التي
بث أمقتها كما لم أمقت مكاناً من قبل .. ولكن أين هو ؟ أين ؟

* * *

أغلق (أدهم) عينيه ، داخل سيارة الشرطة التي تقوده إلى
مسجن (باريس) ، وحاول أن يركز أفكاره ليعلم ماذا أصابه ،

ولكن عقله كان مشوّشاً على نحو لم يعهده في نفسه من قبل ،
وبدا له جسده وأهنا ضعيفاً ، حتى كاد يفقد الثقة بنفسه
وقدراته ..

كان يشعر برغبة قوية في النوم ، حتى بات يحلم بالوصول
إلى السجن ، ليلقى جسده فوق الفراش الذي يقدمونه إليه ،
أيّا كان ، ويستسلم لتعاس طويل ، علّ هذا يعيد إليه نشاطه
وحيويته ، بعد أن فشل قذح القهوة الذي تناوله في الصباح في
إنعاشه ..

وكان عقله المشوّش المضطرب عاجزاً عن الربط بين قذح
القهوة ، وذلك الضعف والتخاذل الذي يصيبه بعده ..

كان (رجل المستحيل) يعاني لأول مرة في حياته ،
الاضطراب ، والعجز ، والضعف ..

ووصلت السيارة إلى السجن ، وهبط منها مع ثلاثة من
المساجين الآخرين ، وبدا شاحباً مريضاً ، وهم يلتقطون
صورته ، لتوضع في ملفه الخاص ، وتناول حُلّة السجن
الرمادية في استسلام عجيب ، ثم ترك حارسه الصارم يقوده
إلى زنزانه ..

وكانت الزنزانة تضم ثلاثة آخرين ، تطلّعوا إليه في برود ،

حيناً دفعه حارسه إلى الداخل ، وأغلق الباب الفولاذي خلفه ، ثم نهض أصحابهم جميعاً ، وتقدم نحوه ، قائلاً في صرامة :

— إنها أول مرة تسجن فيها .. أليس كذلك ؟

كان يتحدث بطريقة وقحة فجأة ، جعلت (أدهم) يتسنى أن يلمح في أنفه ، ولكن الضعف والوهن اللذين يشعر بهما في جسمه ، جعلاه يكتفى بالتطلع إلى وجهه في تحد ، ويقول في هدوء :

— ليس هذا من شأنك .

المرئىء الرجل عن انصامة شرسة ، كشفت عن صفين من الأسنان الصفراء غير المنظمة ، وهو يقول :

— ليس هذا من شأنى ؟ .. هذا يوضح أنها أول مرة بالفعل ، فأنت تجهل من هو (شارل) .

حاول (أدهم) أن يجيبه بعبارة ساخرة ، إلا أن كل ملصيح فيه هو أن يفهم :

— ومن هو (شارل) ؟

لكثرة الرجل في كفه لكثرة قوئته ، وهو يقول في شراسة :

— ألم تعلم بعد ؟

لم تكن لكثرة ذلك الرجل ، على الرغم من قوته وضخامته ، بإمكانها أن تزعج (أدهم) قيد الشئ فيما معنى ، إلا أنه فوجئ بها تلقية أرضاً ، وكأنها أصاب الوهن جسده حتى النخاع ، فانتابه مزيج من الدهشة والحقي ، وغمغم وهو ينهض في صعوبة :

— اسمع يا هذا .. إننى أكاد أسقط نالماً ، فلم أذق طعم النوم منذ ثلاثة أيام .. أتركنى أنعم به أولاً ، وسنؤجل الدرس لما بعد .

عاد (شارل) يتنهم تلك الانصامة الوحشية ، وهو يقول :

— ليس قبل أن تعرف بأن (شارل) هو زعيمك .

كاد عناد (أدهم) الغريزى ، واعتداده الشديد بنفسه ، يدفعه لمهاجمة (شارل) ، على الرغم من كل ما يشعر به من وهن وضعف ، إلا أن بقايا التفكير الحكيم في عقله ، جعلته يحسن تقدير الأمر ، ويعلم أن معركته مع (شارل) لن تفضى إلا بهزيمته ..

وكان يرفض الهزيمة في قتال ..

أى قتال ..

ومضت لحظة من الصمت ، قبل أن يلوّح بكفه ، قائلاً :
صبر :

— حسناً .. هل تسمح لي باليوم أيا الزعيم (شارل) ؟
تأملت عينا (شارل) في ظفر ، وانتحي جانباً ، وهو يشير
إلى فراش مهمل في ركن الزنزانة ، قائلاً في ازدراء :
— اذهب إلى هذا الفراش

تجاهل (أدهم) لحيته المقيتة ، واتجه إلى الفراش ، وألقى
جسده فوقه ، دون أن يُغني بترتيه ، وأغلق عينيه ، وقد
أصبح كل هدفه — في هذه اللحظة — هو النوم ..
النوم وحده ..



لم تكن لكثرة ذلك الرجل ، على الرغم من قوته وعضامته ، تمنحها أن
تزعج (أدهم) في لحظة فيما مضى ، إلا أنه فوجئ بها تلقى أرحاماً ..

١٢ - جريمة قتل ..

عبر الجاسوس ، الذى يتحلل شخصية اللواء (حسن الغندور) ، زدهات هيئة التصنيع الحرفى فى خطوات وثيقة ، كما لو أنه قد درس المكان دراسة وافية ، وانحى إلى مكتب اللواء (حسن) ، وعبره فى خطوات واسعة ، وهو يحجب النحية العسكرية ، التى أذاها المقدم الشاب ، الذى يتولى منصب مدير مكتبه ، والذى لحق به إلى حجرته ، وهو يحمل بعض الأوراق ، قائلاً :

— لقد انتهت من التقرير الذى طلبته يا سيادة اللواء .
التقط الجاسوس الأوراق التى قدمها له المقدم ، وألقى عليها نظرة سريعة ، ثم أعادها إليه ، وهو يقول :
— عظيم .. سأفحصها فيما بعد .
رفع المقدم حاجبيه فى دهشة ، فقد كان يدرك تمامًا ، بعد ثلاث سنوات من العمل مع اللواء (حسن) ، أنه رجل شديد التدقيق فى مثل هذه الأمور ، وأنه لا يترك ورقة واحدة دون أن يقرأها ، ويراجعها فى غاية الدقة ، فعاد يقول :

— لقد أجريت التعديلات التى طلبتها فى التقرير يا سيدي .
لم يزد الجاسوس على أن غمغم فى ضجر :
— هذا عظيم .

مرة أخرى شعر المقدم الشاب بالدهشة ، ولكنه أرجع عدم اهتمام اللواء (حسن) بمراجعة التعديلات ، إلى أمر آخر يشغله ، ولقد حُبل إليه أنه محق ، حينما سأله الجاسوس فى اهتمام :
— هل انتهى الخبراء من تصميم التعديلات الجديدة ، التى ستجرىها فى الد (تاجير شارك) ؟
أجاب المقدم فى خيرة :

— نعم يا سيادة اللواء .. لقد انتهوا منها ، ولقد أطلعت سيادتكم عليها منذ يومين .
قال الجاسوس فى صرامة :
— لا بأس من رؤيتها مرة أخرى .
هز المقدم كتفيه ، وهو يقول :

— كما تأمر يا سيدي .. سأطلب إحضارها على الفور .
ثم أذى النحية ، وأسرع ينفذ الأمر ، فى حين انشغل الجاسوس ، وهو يشعر بالهجة فى أعماق نفسه ، فقد باث قات قوسين أو أدنى من تحقيق هدفه الرئيسى ، والحصول على التصحيحات .

وخامره فجأة شعور بالقلق ، وخشى أن يثير سرعه الشك : لأنه يادر يطلب رؤية التصميمات ، فور وصوله إلى مكتب الذى يتحل شخصيته ، لأول مرة ، ولكنه لم يلبث أن تذكر أنه من المستحيل أن يكشف مخلوق واحد أمره ، بعد تلك العملية الجراحية الراقية ، والتدريبات المكثفة ، التى جعلته صورة طبق الأصل من اللواء (حسن القدور) ، فاستعاد هدوءه ، وجلس ينتظر فى صبر ، حتى عاد إليه المقدم ، وهو يصحب أحد خبراء الطيران ، الذى قدم له عدة أوراق كبيرة ، ملقطة حول بعضها فى شكل أسطوانى ، وهو يقول فى احرام :

— التصميمات التى طلبتها يا سيادة اللواء ..

استعاد (أدهم) الجزء الأكبر من نشاطه وحيويته ، وقدرته على التفكير ، بعد أن استغرق فى نوم عميق لعشر ساعات كاملة ، ولكنه ظل واقفا فى فراشه يفكر فى خطورة ودقة موقفه .. بعد أن أصبح سجيناً فى سجن (باريس) .. تهمته سطو واعتداء ، وأحققه أن (سونيا جراهام) قد نجحت هذه المرة ، بمساعدة (مارسيل بيكر) ، ملك العصابات ،

فى إحكام الحصار حوله ، ووضعته فى هذا الموقف العسير ، ولكن استعادة نشاطه جعلته يستعيد صلابته وعياده ، وهدوءه فى أعقد المواقف ، فأخذ يحاول دراسة الأمر فى روية ، حتى وجد (شارل) عند رأسه ، يقول فى خشونة : — انتهى .. إننى لا أصبح بنوم أحد بعد أن أستيقظ أنا ، وأنا أستيقظ مبكراً

استعاد عقل (أدهم) موقفه السابق مع (شارل) ، وامتلات عروقه بالغضب ، فقال له فى صرامة : — أغرب عن وجهي أيها النور القبيح ، وإلا حولتك إلى كومة من النفايات ، تألف الخنازير نفسها من الاقتراب منها .. اسكت عينا (شارل) ، وصاح فى غضب أحاله إلى وخش

كاسر

— كيف تجرؤ أيها الـ .. ؟

وفجأة .. قفز (أدهم) من فراشه ، وجذب (شارل) إليه بقبضته اليسرى ، ثم كال له كلمة كالثقلية يمانه ، تحطم لها أنفه ، فصرخ فى ألم وثورة :

— أيها الحقير .. كيف تفعل هذا بشا .. ؟

لم يترك له (أدهم) فرصة إتمام عبارته ، فقد هوى على



لقد هوى على فكتة ملكة كالصاعقة ، حطمت كل أسنان (شاول)
الأممية ، وملاّت فيه بالدماء ، وهو يهوى فاقد الوعي .

فكتة ملكة كالصاعقة ، حطمت كل أسنان (شاول)
الأممية ، وملاّت فيه بالدماء ، وهو يهوى فاقد الوعي ، في
حين تطغى المسجونان الآخرين إلى (أدهم) في رغب وذهول ،
في نفس اللحظة التي فتح فيها الخارص باب الزنازة ، وهو
يقول :

— ها أيها الأوغاد .. لقد حان موعد وجبة الإفطار
و...

وبتر عبارته فجأة ، حينما وقع بصره على (شاول) ، الذي
تقدم في أرضية الزنازة فاقد الوعي ، والدماء تغطي نصف
وجهه ، فهتف في دهشة :

— يا للشيطان ! من فعل هذا به (شاول) ؟

أجاب (أدهم) في هدوء ساخر :

— لا أحد .. يبدو أنه مصاب بداء السر في أثناء النوم ،
ولأرب أنه كان يعلم بعودته إلى أصله ، كتور قيح ، فازطم
بالخائط ، وهو يظن أنه يناطح واحدا من أقرانه .

حدق الخارص في وجه (أدهم) بذهول ، ثم لم يلبث أن
انصم ، وكأنما أسعده أن يأتي مسجين جديد ليترع الرعامة من
(شاول) ، وتحولت ضجته إلى لهجة مريحة ، وهو يقول :

— نعم .. يبدو أن هذا هو ما حدث .. والآن هيّا لتناول وجبة الإفطار .

لم يكف (أدهم) عن التفكير في سرّ ما أصابه من وهن وضعف ، وهو يتناول قذح القهوة ، الذي قدّمه له السجين المستول عن وجبات الطعام ، وأخذ يرتشف القهوة في ببطء وهذوء ، وهو يتساءل عن سرّ ذلك الشعور الذي لم يتنبّه أبداً من قبل ..

وفجأة .. انبه إلى مذاق القهوة اختلف ..

انبه إليه وهو يرتشف آخر قطراتها من قذحه .. وأخذ عقله يعمل في سرعة ..

إنها القهوة ..

نعم .. إنها هي ..

إنهم يدسّون له شيئاً ما في أفداح القهوة ، فهو لم يتناول سواها في قسم الشرطة ..

ودون أن يدري ، غمغم في صوت مسموع :

— نعم .. إنها القهوة .

وانتابه الحق عندما شعر بذلك الضعف يتسلّل إلى غروقه

وعضلاته ، وأدرك أن مفعول ذلك الشيء الذي يدسّونه في قهوته سريع قوئ ، وقرّر ألا يتناول جرعة واحدة من القهوة بعد تلك اللحظة ، ولكنه لم يدرك أن العبارة ، التي غمغم بها في صوت مسموع ، قد جعلت السجين المستول عن وجبات الطعام يتبادل نظرة خاصّة مع حارس قاعة الطعام ، الذي غادر موقعه على الفور ، واتجه إلى حجرة قريبة ، التقط ساعة الهاتف الموضوع بها ، وطلب رقمًا خاصًا ، ولم يكذب يسمع صوت محدّثه ، حتى قال في توكّر :

— لقد كشف الرجل الخُدعة يا ميسيو (مارسيل) ،

وأدرك أن القهوة هي التي تفعل به كل هذا .. ماذا نفعل يا ميسيو (مارسيل) ؟

وعقد حاجيه ، وهو يستمع إلى أوامر (مارسيل بيكر) في اهتمام ، ولحق به السجين المستول عن وجبات الطعام ، وهو بعيد الساعة إلى موضعها ، وسأله في همس وقلق :

— هل أخبرت ميسيو (مارسيل) بالأمر ؟

أوماً الحارس برأسه إيجابًا ، وهو يفقد حاجيه في صرامة ، فعاد السجين يسأله :

— وبم أمر ؟

تطلع إليه الحارس لحظة لي صمت ، ثم أجاب لي صوت صارم جاف :

— لقد أمر بأن ينتهى كل شيء ، قبل أن يذهب الرقود القهورة ، ويستعيد الرجل قوته وقدراته .

نألفت عينا السجين لي جذل شرس ، وقال وكأنه يستمع بكل حرف من حروف كلماته :

— هل يغنى أنا ؟

قاطعه الحارس لي صرامة :

— نعم ... لا بد أن يلقى ذلك المصرى مصرعه اليوم .. وقبل مغيب الشمس .

لقد أصدر ملك العصابات أوامره ، بقتل (رجل المستحيل) ..

انتهى الجزء الثانى بحمد الله

ويليه الجزء الثالث والأخير

[الجاسوس]